ـــــة النيليـــــــــــــــن
الدراســات العليــا
لغة العربية

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

بعنـــــوان :

معيــار الجــودة فـي طبقــات فحــول الشعـــراء

إعداد الطالب :
بشارة الزين علي عبد الله النور
السَّيِّد موسي

إشراف أ.د :
عِوَض

فبراير/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهـــــــــــلال

قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)

صدق الله العظيم
(سورة الكهف، آية 30)

الإهـــــــــــــداء

إلى والدي
الذي طبع في نفسي الإسلام فطرة
وغرس في معاني الإيمان سلوكاً
ودفعني إلى مدارج العلم ثقة
وأحاطني بمعاني الطموح تواضعاً
إلى والدتي
التي أرضعتني الصبر مهداً
وغطتني بالعفة والحياء طاعة وبراً
وأكسبتني الصدق قولاً وفعلاً
أخوتي واصدقائي
أنكروا ذواتهم فأفنوا في تقويم خلقي وإرشادي
للخير والإيمان واحاطوني بالعطاء بذلاً وعطاءاً

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبتوفيقه تحقق الغايات
نحمده عز وجل أن هدانا وسدد خطانا لإتمام هذا البحث والعمل
المتواضع ، يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بأعظم الشكر

وأسمى معانى العرفان إلى من كان لي نعم المعلم الموجه والمحفز
شكر خاص إلى البروفسور/عوض السيد موسي ، المشرف على هذا البحث لما قدمه من دعم وتوجيه ونصح لإخراج هذا العلم النور ، ولوقوفه إلى جانبي وإمدادي بالمصادر والمراجع وشرفني بقبول الإشراف على رسالتي
كما أعترف بالجميل للذين لا يمكن إلا الانحناء أمامهم للأساتذة الكرام بقسم اللغة العربية جامعة النيلين كلية الآداب ، وعلى رأسهم دكتورة/سلوى عثمان
كما اعترف بالجميل للذين قدموا يد العون لي ابن أختي العزيز/سلمان محمد سلمان الذي قام بطباعة هذا البحث
وإلى كل من قدم يد العون من أجل إنجاز هذا العمل أقدم لهم خالص شكرى وعرفاني بالصنيع الجميل ... فتقبلوا مني مشكورين جزيل الشكر

الباحث

مستخلص البحث

تناولت هذه الدراسة موضوعاً في النقد القديم وهي قد أخذت العنوان التالي: معيار الجودة في طبقات فحول الشعراء. وفيما يلي مضمونها:

مقدمة اشتملت على خطة البحث والتمهيد له ثم التعرض لمفاهيم البحث في اللغة والاصطلاح وهي الطبقة والمعيار والفحولة والجودة ثم الحديث عن صاحب الكتاب ابن سلام الجمحي وأهم القضايا التي تناولها الكتاب وكيف ناقشها ابن

سلام ومن ثم الحديث عن تجليات الجودة في طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ثم التطبيق على نصوص مختارة يؤتي بنص لشاعر جاهلي وآخر إسلامي ومن ثم بيان مظهر الجودة عندهم .

ثم خاتمة اشتملت على ما توصل إليه من نتائج وتوصيات ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

Research Abstract

This study addresses a topic in : Classical Criticism. It is entitled "The standard of Quality in the Classes of Champion poets". "

It consists of the following: an introduction that includes the research plan and a preface, followed by linguistic and terminological definition of concepts, which are: Class , Standard, Championship (Fuhula) and Quality. The author of the book, Ibn Sallam Al-Jumhi, is introduced, together with a discussion of the main is followed by an analysis of the manifestations of quality in the classes of pre-Islamic and Islamic champion poets. An applied part contains selected texts of pre-Islamic and Islamic poetry.

Accompanied with an illustration of their quality features. The thesis is concluded with findings , recommendations and a bibliography .

مقدمة:

لقد فطر الناس على حب المفاضلة والموازنة فيما بينهم لنيل أعلى المراتب والدرجات وقد ظهرت الفطرة واضحة جليّة ، حيث ظهر الشعر وتبارى في غرضه الشعراء، وليست الموازنة إلا ضرباً من ضروب النقد يميز بها الجيد من الرديء وتظهر بها وجوه القوة والضعف في مختلف الأساليب فهي تتطلب إلماماً بالأدب ، ومعرفة مناحي العرب في التعبير ، وقد تأكد لدي أن الشعر العربي القديم جدير بأن تقام لبعض محتوياته دراسة خاصة ، وأنه وجد استحسان النقاد القدماء الأوائل ما يجعله يستحق العناية ، ولعل أبرز مثال سوق عكاظ ؛ لأنه كان في نظرهم أقدر الشعراء على وزن الكلام ، كما تناقل الناس أحكاماً سائرة في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض وتفضيلهم إياهم هنا لم يكن تفضيل الشعراء مبنياً على مقاييس محددة واضحة ، وإنما هي أحكام مطلقة تدور حول إجادة الشاعر في التعبير عن معنى من المعاني في قوة وإحكام.

وبقي الأمر كذلك حتى تأليف ابن سلام الجمحي كتابه "طبقات فحول الشُّعراء" (193هـ-231هـ) الذي يعد أول مؤلف نقدي يخضع لمعايير منهجية ولعل أبرز تلك المعايير معيار الجودة الذي شكل فلسفة جمالية جعلت الشعراء يتسابقون إلى تطبيقها على شعرهم لنيل أعلى درجات ، كما الشغل الشاغل لدى العامة وأعزب بيت ، وأجود قصيدة كما شغلت النقاد حتى راحوا يصنفون ويجمعون الشعر قصد دراسته والوقوف على خصائصه الشعرية وملامح الجودة الأدبية التي تؤهله بأن يحتل أعلى المراتب ويتسم بالقراءة.

- دواعي اختيار الموضوع:

لعظم هذا العمل والقدر الكبير من الفائدة المحصلة من البحث فيه ، تكونت رغبة لدى الباحث في دراسة هذه الظاهرة والتطرق لمثل هذه القضايا نظراً لما تحتويه من سعة في الزاد المعرفي ، وما تطلبه من تركيز ، أضف إلى ذلك ما تتميز به هذه الدراسة من سعة في الفهم والحكمة ، وقدر كبير من رحابة الصدر وموضوعية في البحث. فهذه الأمور غيرها دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع لمعالجته في موضوعٍ وسم بـ:"**معيار الجودة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي**".

- أهداف البحث :

1. النظر في النقد العربي القديم وما قام عليه من معايير.
2. إبراز جهود نقادنا القدامى الذين منهم ابن سلام.

3. تحديد المعايير النقدية التي قرأ من خلالها الابداع الشعري في القديم.

- حدود الموضوع وطبيعته:

الدراسة تدور حول مفهوم الجودة في النقد القديم وتحديداً عند ابن سلام ، والبدايات الأولى للمصطلح ومراحل تطوره إلى أن أصبح معياراً بارزاً يحتكم إليه الشعراء.

- الإضافة العلمية التي يحققها البحث:

لفت نظر الطلاب إلى كتب التراث لكي تدرس دراسة منهجية ، لترسم لهم الطريق للدخول إلى الدراسات النقدية الحديثة ، من أجل توحيد مصطلحاتنا النقدية حتى تكتمل صورة تراثنا النقدي.

- الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث فيما اطلع عليه - دراسة مستقلة تناولت الموضوع إلا أن هناك بعض الدراسات تناولت أطرافاً منه وأجريت بحوث حول شخصية ابن سلام ومن هذه الدراسات. أ/ محمد ابن سلام الجمحي (ت 231هـ) وكتاب (طبقات فحول الشعراء) ، دراسة نقدية ابداعية ، الدكتور/محمد علي أبو حمدة.

- مشكلة البحث:

الإشكالية تقوم على شكل أسئلة :

- ما مفهوم الجودة عند ابن سلام ؟
- وما الدلالات المختلفة لفكرة الجودة؟ .

وترصد معانيها وكيف استعملها ابن سلام في تقسيم الطبقات ، كل هذه القضايا تصب في صلب الموضوع ، وهذا ما سأحاول معالجته بإذن الله في هذا البحث قصد الوقوف على جوانبه وضبط قضاياه وتذليل مفاهيمها لتكون إن شاء الله زيادة خير للمكتبة ، ويتحقق بها النفع لكل طالب أراد البحث ، والله من وراء القصد.

- منهج الدراسة وهيكلها :

المنهج التاريخي هو المنهج المعتمد ، وذلك من خلال التعرض لفكرة الجودة منذ ولادتها وصولاً بها إلى مدلولها النقدي عند ابن سلام ، وآلية الوصف والمنهج التحليلي اللذين يظهران في الدراسة التطبيقية ، وهذا من خلال التطرق لمختلف الجوانب الفنية في النصوص الشعرية.

- هيكل الدراسة :

جاءت هذه الدراسة في خطة اقتضت أن تكون في شكل مقدمة وثلاثة فصول تناولا صلب الموضوع وخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة وتفصيلها كالتالي:

الفصل الأول: فخصصناه لمفاهيم البحث : مفهوم الطبقة لغة واصطلاحاً ، ومفهوم المعيار لغة واصطلاحاً ومفهوم الفحولة ، ومفهوم الجودة لغة واصطلاحاً، بالإضافة إلى معيار الجودة عند بعض النقاد القدامى.

الفصل الثاني: تناولنا فيه : صاحب الكتاب ابن سلام (مولده ، نشأته ، مكانته) بالإضافة إلى تعريف الكتاب وأهم القضايا التي تناولها.

الفصل الثالث: فكان عبارة عن الدراسة التطبيقية : حيث تناولنا فيه الجودة وتجلياتها في طبقات فحول الشعراء (أي مظهر الجودة عند الشعراء الجاهلين والإسلاميين) .

- أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع التي كانت الزاد المعرفي ولعل أبرزها كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبية ، وفحولة الشعراء للأصمعي ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والتفكير النقدي عند العرب لعيسي على العاكوب.

الفصـــل الأول
مفاهيـــــم البحـــــث

- مفهوم الطبقـــة.
- مفهوم المِعيـــــــــار.
- مفهوم الفحولـــــــــــة.
- مفهوم الجـــــــــــــــــودة.

البدايات الأولى لفكرة الطبقة :

إذا أردنا الحديث عن فكرة الطبقات ، فلابد من أن نتوقف عند المدلول اللغوي للفظة ، حتى يتضح معناها في العلوم والمعارف التي وظفت فيها ، بدءاً بمفهومها عند علماء الحديث ، الذين كان لهم فضل السبق في طرق هذه الفكرة ، مروراً باللغويين الذين اقتبسوا الفكرة من علماء الحديث ، وانتهاء بمفهومها عند نقاد الأدب الذين عملوا على تطوير الفكرة وإكمالها في بحثهم مركزين في بحث الفكرة عند ابن سلام الجمحي صاحب كتاب الطبقات.

1-مفهوم الطبقة في اللغة :

لقد وردت اللفظة في بعض المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة ودلالات متنوعة، تنصب في مجملها على معنى "المساواة والموافقة" فقد جاء في لسان العرب في مادة طبق "الطبق: كل غطاء لازم على الشيء ، وطبق كل شيء ما سواه ، والجمع أطباق ، وقوله : وليلة ذات جهام أطباق معناه أن بعضه طبق لبعض أي مساوٍ له وطبق كل"[1].

فالطبقة كما هو واضح وردت بمعنى الغطاء للشيء المغطى ، والتغطية هنا لا تتحقق ولا تتم إلا إذا كان الغطاء مساوياً للشيء المغطي ، لذا فالطبقة هنا شتى صورها المادية وردت بمعني المساواة.

كما تطلق الطبقة في أصلها المادي على الفقرة من فقرة الظهر ، وقد تطلق على العظام الرقيقة التي بين الفقرتين ، فهي في كلتا الحالتين تطلق على أجزاء مادية متساوية الحجم.

وممَّا يؤكد معني المساواة لكلمة "طبقة" ما أورده ابن منظور في لسان العرب "وقد طابقة مطابقة وطبقاً. وتطابق الشيئان : تساويا ، والمطابقة: الموافقة والتطابق: الاتفاق ، وطابقت بين الشيئين : إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما"[2].

وعليه فالطبقة كما هو وارد هنا تعني : المساواة داخل الطبقة الواحدة ، والتي تشتمل على عناصر تشترك في صفات تجعلها في وضع متشابه ، بحيث تنغلق على العناصر التي تتكون منها ، فلا تسمح بدخول أو خروج أي عنصر من عناصر هذه الطبقة لذا سميت هذه الطبقات "الطبقات المغلقة"؛ انفرد بها ابن سلام وصنف علي أساسها الشّعراء في طبقات، أما الطبقات المفتوحة اعتمدها ابن قتيبية وابن المعتز وغيرهم في مؤلفاتهم.

1() ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "طبق".

2() المصدر نفسه .

إن وجود طبقة يوجب بالضرورة بوجود طبقات أخرى متفاوتة معها رأسياً أو أفقياً ، فالرأس يكون التفاضل فيه من الأعلى إلى الأسفل أو العكس ، من ذلك: طبقات السماء ، طبقات الأرض.

قال الزجاج : "معنى طباقاً : مطبق بعضهما على بعض "والسموات الطباق" سميت بذلك لمطابقة بعضهما بعضاً أي : بعضها فوق بعض"[1].

منا هنا يتضح أن أي شيء غطي شيئاً آخر سموه "الطبق" ؛ لأنه حين غطاه ساواه ، فأصبح غطاء له.

يقول امرؤ القيس :

ديمة هطلاء فيها وطف * * * طبق الأرض تحرَّى وتدرَّ[2]

فالماء إذا عمّ الأرض أصبح كالطبق لها ، أو كالغشاء ، فتكون بذلك طبقة الماء مساوية لطبقة الأرض.

أما الطبقة عند الزّمخشري ، فتكاد تنحصر فيه معني "المساواة" كما ذكر ذلك في أساس البلاغة : "وأطبقت الرحي : إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل، وطابق الغطاء الإناء ، وانطبق عليه وتطبّق"[3].

فالطبقة هنا تعني المساواة التامة ، فإطباق الرحى لا يتم إلا إذا كان الطبق الأعلى مساوياً للطبق الأسفل ، ومطابقة الغطاء للإناء لا يتم إلا إذا كان الغطاء مساوياً كافة الإناء وهكذا ...

إن مدلول الكلمة عند الزّمخشري لم يكن ليقتصر على معنى المساواة فحسب ، بل تعداه إلى معان أخرى ، إذ يقول : في موضع آخر "وبات يرعى طبق النجوم : أحلها في مسيرها".

2- مفهوم الطبقة في القرآن الكريم:

إن مدلول الطبقة في القرآن الكريم ، الذي يعّد من أفصح الشواهد نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان عربي مبين.

لقد وردت كلمة طبقة فيه في مواضع مختلفة وبمعاني متباينة: من ذلك قوله تعالى : "ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا"[4].

1() ابن منظور ، لسان العرب "مادة طبق" .

2() امـرؤ القيـس ، الـديوان ، تحقيـق حنـا الغـافوري ، ط 1 ، دار الجيـل ، بيروت ، لبنان ، 1989م ، ص 186.

3() أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشـري ، أسـاس البلاغـة ، د.ط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2004م ، ص 383.

4() سورة نوح ، آية (15).

وقوله تعالى:" والقمر إذا اتسق لتركبن طبقاً عن طبق"[1]. قال تعالى: (الذي خلق سبع سموات طباقا) [2] ، من خلال تأملنا في هذه الآيات السابقة الذكر يتضح لنا أن لفظة (طبقة) تشير إلى معنى التطابق الرأسي ، وهو أن تجعل الشيء فوق الآخر بقدرة، فالمطابقة هنا تعني المساواة بحيث تصبح كل طبقة بمثابة الغطاء وللطبقة التي تليها .

3- مفهوم الطبقة عند علماء الحديث:

كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ، فقد وردت أيضاً في كتب الأحاديث ، بمعاني مختلفة.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : الذي يرويه أبو سعيد الخدري: "إلا أن بني آدم خلقوا على طبقات شتي ، منهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمنا ، ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافراً ، ويحيا كافراً ، ويموت كافراً ، ومنهم من يولد مؤمناً ، ويحيا مؤمنا ، ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ، ويعيش كافراً ، ويموت مؤمناً"[3].

بالتأمل في هذا الحديث الشريف نلحظ أن لفظة (طبقة) تعنى : المذهب ، أو الحالة ؛ أي : أحوال المناسب ومذاهبهم في الميلاد ، والحياة والموت.

كما وردت بمعنى "الوعاء" الذي يوضع عليه الطعام ، فقد ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل: "فجاء رجل بطبق عليه تمر"[4] وقد وردت كذلك بمعنى: آلة غناء وطرب كما جرى في المسند: " فأعطاهما طبقاً فغنتها"[5].

أما ما جاء في صحيح البخاري "... قالت السابعة : زوجي غياياء أو عياياء ، طباقاً ، كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلاًّ لك.." [6].

فالطبقة كما هو واضح في الحديث ، تعني الحمق وعدم التصرف ، فزوج هذه المرأة يتصف بالغباء والحمق ، مما جعل تصرفاته غير محكمة.

من خلال النصوص الشرعية السابقة الذكر ، سواء أكانت قرآنية أو أحاديث شريفة يتضح أن معني الطبقة يكاد يكون محصوراً في "التطابق الرأسي" الذي تجسده وحدة الموضوع"

1() سورة "الانشقاق" ، آية (19).
2() سورة "الملك" ، آية (3).
3() أحمد بن حنبل ، المسند ، ج 3 ، ص 19.
4()أحمد بن حنبل ، المسند ، ج 3 ، ص 486 – 490 .
5() المصدر نفسه ، ص 499.
6() البخاري ، الصحيح : شرح الكرماني ، ط 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ج 19 ، ص 134.

كأساس للتفاضل ، فنحن لا نقدر أن نطابق إلا بين سماء وسماء أو أرض وأرض ... وكذلك.

بالإضافة إلى معني التطابق الرأسي للفظة نجد شكلاً آخر من التطابق ، هو التطابق الأفقي في القيمة أو المنزلة ، أين يكون التفاضل قائماً على أساس المكانة الاجتماعية التي يتبوأها الفرد داخل مجتمعه ، ففي الحديث الذي أورده القاضي أبو الحسين بن أبي يعلي من (طبقات الحنابلة) بإسناده إلى العباس بن محمد بن حاكم الدوري أنه قال: " انتهى علم أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى ستة نفر من الصحابة (رضي الله عنهم) : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، فهؤلاء طبقات الفقهاء ، وأما الرواة فستة نفر أيضاً : أبو هريرة ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وعائشة (رضي الله عنهم) ، وأما أصحاب الأخيار ، والقصص فستة نفر ... ، وأما طبقات خزّان العلم : فستة نفر أيضاً ... وأما طبقات الحفاظ فستة نفر..." [1].

لقد جسد هذا الحديث معنى التطابق الأفقي ، أي تنعدم فيه وحدة الموضوع، فموضوع كل طبقة يختلف عن موضوع الطبقة الأخرى فالطبقة الأولى "طبقة الفقهاء" اتخذت من الفقه موضوعاً لها في حين اتخذت الطبقة الثانية من الرواية موضوعاً لها.

كما أنّ هذا الترتيب الطبقي قائم على التفاضل في القيمة والمكانة الاجتماعية، وكذا الدور المنوط بكل طبقة داخل المجتمع، فطبقة الفقهاء أعظم قيمة من طبقة الرواة من حيث دورها في المجتمع ، وهذه الأخيرة أعلى منزلة من طبقة أصحاب الأخبار والقصص ، وهكذا ...

وعليه فكلمة طبقة في الحديث جسدت معنى المساواة الحاصلة في كل طبقة فلا تفاضل بين هؤلاء النفر الستة في كل طبقة ، ولا تمايز ، كأن كل فرد يشكل طبقة بذاته[2].

ويرى محمود محمد شاكر – محقق كتاب طبقات فحول الشّعراء – أن لفظة طبقة كانت سائرة ومألوفة في زمن ابن سلام ، مما يوحي بالتفرد ، والتفوق في مجال من المجالات ، أو فن من الفنون ، كالحديث أو الفقه أو التفسير ... الأمر الذي

1() محمد بن أبي يعلي ، طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيـروت ، لبنـان ، ج 1 ، ص 238.

2() ينظر : محمد بن الحسين الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، تـح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، مصر ، 1973م ، ص 5.

جعل محمود شاكر يذهب إلى القول أن ابن سلام كان يعني بطبقاته: "المناهج"، فكل طبقة بالنسبة له تمثل منهجاً قائماً بذاته[1].

إن الأصل في تأليف الطبقات هو تصنيف جماعة من الناس اشتركوا في فن من الفنون ، أو علم من العلوم ، وأنّ أول من قام بهذا العمل الجليل هم علماء الحديث الذين كانوا يهدفون إلى وضع الرواة في طبقات ، حتى تعرف أزمانهم ، وأجيالهم ، مما يساعدهم فيما بعد على دراسة أسانيدهم والتأكيد من صحتها[2].

غير أن هذه الفكرة لم تقتصر على ميدان الحديث فحسب ؛ بل تعدته إلى ميادين أخرى ، فوضع العلماء مؤلفات في طبقات الشّعراء ، وكذا في طبقات النحاة واللغويين ، والأطباء ، والحكماء وغيرهم ، إلا أن معني الطبقة هنا تعدي البعد الزمني إلى البعد القيمي الذي تراعي فيه مكانة الفرد داخل الطبقة ، كما هو الحال عند ابن سلام.

4- مفهوم الطبقة في الاصطلاح :

تقسيم الناس إلي طبقات فكرة متصلة بعلم الرجل ، وقد نشأت بدافع الحرص على الحديث النبوي الشريف ، فكانت تطلق على جماعة من الناس ، تقاربوا في السن وفي الشيوخ الذين أخذوا عنهم ، ثم توسعت فكرة التقسيم على طبقات لتشمل كثير من ميادين المعرفة ، كالتاريخ ، واللغة وغيرهما ، وظهرت على جانب طبقات المحدثين طبقات النسابين ، وطبقات الشّعراء ، وطبقات القراء، وطبقات الفقهاء ، وطبقات المفسرين ، وطبقات الحكماء ، وغيرها.

واختلفت طرق هذه الطبقات ، فمنهم من يرتبها على الأعصار ، ومنهم من يرتبها على حروف المعجم ، ومنهم من يرتبها على الأنساب أو المدن وغيرها من طرق الترتيب.

فالملاحظ أن أصل فكرة الطبقات ارتبطت بالرجال أولاً ، ثم توسعت لتشمل غيرهم من الكتب والمسائل ، وكل ما يمكن جمعه في طبقة ، لوجود رابط بين أفراد هذه المجموعة.

وعليه يمكن تعريف الطبقات بأنها :

تقسيم الناس أو الأشياء إلى جماعات ، بحيث يكون كل جمع في مرتبة ، لوجود رابط بينهم.

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 67.

2() جهاد المجالي ، طبقات الشّعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ط 1 ، دار الجيل ، 1992م ، ص 25.

فمعنى الطبقة كما أورد محمود محمد شاكر عند ابن سلام ، والتي على أساسها صنف الشّعراء في طبقات بناء على التشابه الحاصل بين شعراء كل طبقة فقال : " والتشابه عند ابن سلام لا يعني التطابق ، وإنما يعنى وجوهاً من الشبه بعينها في المناهج مع اختلاف ظاهر يتميز به كل واحد منهم عن صاحبه ، والاختلاف يكون كل منهم رأساً في هذا المذهب من مذاهب الشّعر..." [1].

فمحمود شاكر يذهب إلى أن ابن سلام يعني بالطبقة : المنهج ، أو المذهب الذي يسير عليه الشاعر ، فكل شاعر يمثل منهجاً خاصاً ، لذا التشابه عند الشّعراء الأربعة في الطبقة الواحدة إنما هو تشابه في المناهج مع اختلاف كل واحد عن صاحبه.

مفهوم الطبقة عند نقاد الأدب:

إن الحديث عن فكرة الطبقة عند نقاد الأدب يقودنا إلى الحديث عن نوعين من الطبقات: طبقات رأسية مغلقة ؛ انفرد بها ابن سلام وصنف على أساسها الشّعراء في طبقات ، وطبقات مفتوحة اعتمدها ابن قتيبة وابن المعز وغيرهما في مؤلفاتهم.

ولما كان ابن سلام أول ناقد أدبي يصنف كتاباً في الطبقات. فهل هذا يعني أنه يعني أنه مبتكر للفكرة ؟ أم أنها وجدت قبلة في التراث العربي لدى علماء الحديث واللغويين. إذا كان الأمر كذلك ، فما الذي أضافه ابن سلام في فكرة الطبقات ؟ وهل من جاء بعده من النقاد ، كابن قتيبة وابن المعتز وغيرهم ، ألفوا فعلاً في الطبقات ؟ أم أن تصانيفهم لا تعدو أن تكون مجرد تراجم للشّعراء.

لقد سبق وذكرنا أن علماء الحديث كانوا أوّل من طرق فكرة الطبقات ، وهذا لدواع دينية ، فمع بداية العصر العباسي كثر الوضع في الحديث : مما دفع بعلماء الحديث إلى التصدي لهذه الظاهرة ، وذلك بوضع الرواة في طبقات بعد دراسة أسانيدهم ونقدها ، الأمر نفسه شهده الشّعر العربي مع بداية عصر التدوين حيث برزت ظاهرة "الانتحال" مما دفع بابن سلام إلى دراسة هذه الظاهرة ، وذلك برد الأشعار إلى أصحابها ، ليتمكن في النهاية من وضع الشّعراء في طبقات.

وابن سلام كان راوياً لذلك تأثر بالفكرة عند علماء الحديث وأدخل لفكرة إلى المجال الأدبي والنقدي ، أضاف إليها شيئاً من ذوقه وثقافته ، ما جعله ينفرد برؤية خاصة في هذا المجال.

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 65 .

من هنا تكمن أهمية الحديث عن فكرة الطبقة عند نقاد الأدب ، وكشف اللثام عنها ؛ خاصة عند ابن سلام ، وهذا لا لكونه أول ناقد يدخل الفكرة إلى مجال الأدب والنقد فقط ؛ بل لأنه كانت له رؤية خاصة في ذلك جعلته ينفرد بها عن بقية النقاد ممن ألفّوا في الطبقات.

لا يخفى على أي باحث في تراثنا الأدبي ، أن اتجاه بعض أسلافنا من الأدباء والنقاد نحو دراسة سير الشّعراء وأشعارهم ، ظهر في بداية الأمر متزامناً مع اتجاه رواة الأدب نحو جميع التراث اللغوي والأدبي عند العرب ، وذلك في أواخر عهد بني أمية ، وأوائل عهد بني العباس[1].

وقد أدّي هذا إلى قيام بعض علماء الشّعر ونقاده ؛ بتوثيق هذا التراث ونقد مصادرة ، والكشف عن أحوال روايته ، ومراتبهم في التلقي والأداء ، متأثرين في هذه الناحية بالقواعد التي وضعها العلماء المسلمون لنقد الحديث النبوي[2].

وعلى أي حال ، فإن اهتمام علماء الحديث بنقد الرّواة ودراسة سيرهم وأخبارهم أدّي إلى ظهور علم الرّجال ، الذي مهد الطريق نشأة فن كتابة التراجم والسير في الأدب العربي[3].

ويعد محمد ابن سلام ؛ من أوائل العلماء النقاد الذين تناولوا أخبار الشّعراء وطبقاتهم الشّعرية ، تناولاً علمياً على أسس منهجية دقيقة ، كما سنرى بعد ذلك، فهو بعد أن فرغ من الحديث عن قضية وضع الشّعر الجاهلي ، وبعض القضايا التي تتعلق بهذه القضية الأم ، كقضية الذوق الأدبي ، ونشأة علوم العربية ، وأولية الشّعر ، وتنقل الشّعر في القبائل ، وذلك في مقدمة هذا الكتاب "طبقات فحول الشّعراء" انتقل إلى دراسة سير الشّعراء وأخبارهم ، من خلال تقسيمهم إلى طبقات.

بدأ ابن سلام في عرض منهجيته التي اتبعها في ترتيب طبقات الشّعراء بقوله " ففصلنا الشّعراء من أهل الجاهلية والإسلام المخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء"[4].

1() كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة ؛ عبد الحليم النجار ، ط.5 ، دار المعرفة ، 1983م ، ج 1 ، ص 65.

2() ناصر الدين الأسد ، مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط 5 ، دار المعارف: 1978م ، ص 225.

3() عثمان موافي ، دراسات في النقد العربي ، ط.4. دار المعرفة الجامعية : 2001 ، ص 105.

4() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 8 ، ص 23 ، 24.

واضح من كلام ابن سلام أنه اعتمد منهجاً تاريخياً فنياً في عرضة لقضية الطبقات ، جاعلاً من الأداء الفني طريقته في تتبع ما يلتقي فيه شاعر مع ما سواه، بغض النظر عن الاختلاف الزمني ، وهذا من خلال تقسيمه للشّعراء إلى جاهليين وإسلاميين ، رغم أنه لم يكن يفكر في هذا التقسيم ، بل أملته عليه طبائع الأشياء. فابن سلام كان يهدف إلى توزيع الشّعراء في طبقات تبعاً لجودتهم الفنية وكثرتهم الشّعرية بالإضافة إلى معايير أخرى لم يصرح بها.

لقد قسّم ابن سلام الشّعراء إلى عشر طبقات في الجاهلية وأخرى في الإسلام ، واضعاً في كل طبقة أربعة شعراء متكافئين معتدلين : "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط في كل طبقة متكافئين معتدلين"[1].

إن ابن سلام أشار في أكثر من موضع في كتابه أنه اقتصر على الفحول من الشّعراء في الجاهلية أو في الإسلام ، ومما يؤكد ذلك أن المتأمل لهذا الكتاب يدرك أن ابن سلام لم يستقصى في تراجمه كل شعراء الجاهلية ، ولا كل شعراء الإسلام ، بل الفحول منهم فقط.

كما أن وضع بعض الشّعراء بهذه الصفة ، أي : الفحولة ؛ تعني أنهم وصلوا إلى درجة عالية من الصياغة الفنية ، أو كما يقول أحد نقادنا المعاصرين واصفاً الفحولة بأنها " طراز من السبك وطاقة كبيرة في الشاعرية"[2].

يضاف إلى ذلك اتّساع دائرة ثقافتهم الشّعرية وغزارة مروياتهم ، من ذلك أن راوية سئل عن الفحل من الشّعراء "فقال الرّاوية : يريد أنه إذا روى استفحل"[3].

الأمر نفسه يراه الأصمعي حيث يقول" لا يصير الشاعر في قريض الشّعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأحبار ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ"[4].

1() المصدر نفسه ، ص 68.

2() إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشّعر من القـرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان ، 1997م ، ص 41.

3() ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، تح: عبد الحميـد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت : 2004م ، ج 1 ، ص 131.

4() المصدر نفسه ، ص 131.

كما سأله تلميذه أبو حاتم السجستاني عن معني الفحل ، فقال الأصمعي: "يراد أن له مزية على غيره ، كمزية الفحل على الحق"[1].

وعليه فإن ابن سلام واجهته مشكلة كثرة الشّعراء ، الأمر الذي جعله يقتصد على المشهورين منهم ، ممن تتوفر فيهم صفة الفحولة ، فوجدهم أربعين شاعراً ، وهم الذين يمثلون العصر الجاهلي ، مضيفاً إليهم أربعين آخرين من شعراء العصر الإسلامي وفق المنهج نفسه ، كما وضع في كل طبقة أربعة شعراء يجمع بينهم التكافؤ والتشابه في أشعارهم.

لقد حاول محقق كتاب "فحول الشّعراء" – محمود شاكر – أن يجيب عن هذا التساؤل ، مبرراً المعني الذي يهب إليه ابن سلام من كلمة "طبقة".

فكانت خلاصة رأيه في هذه القضية ، إن ابن سلام لا يستعمل طبقة بمعناها المتعارف عليه ، أي المرتبة أو المنزلة ، بل يستعملها بمعني المذهب أو رأس المذهب[2].

"والتشابه عند ابن سلام لا يعني التطابق ، وإنما يعني وجوها من الشبه بعينها في المناهج مع اختلاف ظاهر يتميز به كل واحد منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف يكون كل منهم رأس في هذا المذهب من مذاهب الشّعراء..." [3].

يفقد مصطلح "طبقة" دلالته الاصطلاحية ، حين نصل إلى ما بعد منتصف القرن الثالث الهجري ، وهذا ما نجده عند العديد من نقاد القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ولعل أبرزهم في هذا المجال ابن قتيبة في كتابه "الشّعر والشّعراء" الذي عرض في مقدمته إلى بعض القضايا التي تتعلق بنقد الشّعر ؛ في حين خص القسم الآخر بدراسة تراجم الشّعراء.

فهو يقول في مقدمة كتابه : "...هذا كتاب ألفته في الشّعراء ، أخبرت فيه عن الشّعراء وأزمانهم وأقدارهم ، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم ... وأخبرت فيه عن أقسام الشّعر وطبقاته..." [4].

فابن قتيبة رغم إفادته كثيراً من مادة كتاب ابن سلام ، إلا أنه لم يلزم نفسه بالسير على منهجه ، وخاصة فيما يتعلق

1() عبد الملك بن قريب الأصمعي ، فحولة الشّعراء ، تح: شارلس تـوري ، تقديم الدكتور صلاح المنجد ، ط 1، 1971م ، ص 16.

2() عثمان موافي ، دراسات في النقد العربي ، ص 109.

3() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 65.

4() ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الحـديث ، القاهرة ، 2003م ، ص 2-3.

بتقسيم الشّعراء إلى طبقات ، فقد تناول الشّعراء فرادى ، لم يضعهم في طبقات تشير إلى مستوى الشّاعرية عندهم.

كما لم يقسمهم على أساس قبلي أو فني أو تاريخي أو أبجدي [1]، وإذا كان قد بدأ بامرئ القيس ، لتقدمه فنياً ، واتبعه زهيراً مباشرة ، فإنه ما لبث أن وضع كعب بن زهير بعد أبيه ، متخطياً المستوى الفني والتدرج الزمني ، مستسلماً للاستطراد أو تداعي الأسماء.

من هنا دعا ابن قتيبة إلى استقلال النص الشّعري عن عصره أو قائله والنظر في تقويمه بناءً على مقياس الجودة أو الرّواية[2].

ويسير ابن المعتز مع ابن قتيبة في نفس الاتجاه ، مع بعض الاختلاف ، وهذا باستخدامه هو الآخر منهج "الطبقات الأفقية المفتوحة". فهو يصرح منذ البداية أن كتابه هذا يقتصر على الشّعراء المحدثين ، وهذا لقلة من تناولهم ، ... وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ، فإن هذا شيء قد كثرت رواية النّاس له فلموه ، وقد قيل : لكل جديد لذة ، والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم[3].

واضح من كلام ابن المعتز هذا أنه قد خص كتابه "طبقات الشّعراء" لشّعراء عصره ، ممن مدحوا بني العباس واتصلوا بهم ، مقتصراً في ذلك على إيراد القصائد والأخبار التي انفرد الخاصة بمعرفتها ، فقد أثبت أشعار تزيد على ألف وخمسمئة بيت لا توجد في كتاب سواه.

يقول بن المعتز : "فتأملت فخطر على الخاطر في بعض الأفكار أن أذكر في نسخة ما وضعته الشّعراء من الأشعار في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس ، ليكون مذكوراً عند الناس..." [4].

لقد عمد بن المعتز إلى الترجمة للشعراء الذين مدحوا بني العباس ، من غير منهج واضح ، ولا قاعدة محددة ، فقد كان القسم الأكبر من كتابه مخصص لمن مدح خلفاء بني العباس

1() محمد حسن عبد الله ، مقدمة في النقـد الأدبـي ، ط 1 ــ دار البحـوث العلمية ، الكويت ، 1975م ، ص 538.

2() عثمان موافي ، دراسات في النقد العربي ، ص 123.

3() ابن المعتز ، طبقات الشّعراء ، تح: عبد الستار أحمد فـراج ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، ص 10 .

4() المصدر نفسه ، ص 18.

ووزرائهم وتابيعهم ، لينتقل بعدها إلى ذكر شعراء المجون ، ... [1].

وبعدها يعمد إلى التمييز بين الشّعراء على أساس الجنس ، وهذا بإفراده طبقة خاصة بالنساء الشاعرات.

1- مفهوم المعيار :

جاء في اللسان : مادة (المِعيار) من المكاييل : ما عُيِّر . قال الليث : العيار ما عايرت به المكاييل ، فالعيار صحيح تام واقٍ ، نقول : عايرت له أي سوَيته ، وهو العيار المعيار ، يقال: عايروا ما بين مكاييلكم وموازينكم ، وهو فاعلوا من المعيار ، ولا تقل : عيَّدووا.

وعيَّرت الدَّنانير : وهو أن تلقي ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً ، وكذلك عيّرت تعييراً إذا وزنت واحداً واحداً .

يقال هذا في الكيل والوزن .

قال الأزهري : فرَّق الليث بين عايرت وعيرت ، فجعل في عايرت في المكيال وعيرت في الميزان ، قال: والصواب ما ذكرناه في عايرت وعيّرت فلا تكون عيرت إلا من العار والتعيير ، وانشد الباهلي قوله الرأجز[2]:

وإن أعارت حافراً مُعاراً * * * وأيا ، حمت نسودة الأوقارا

إذن ارتبط معني المعيار في اللغة بالموازيين والمكاييل ، وهو أداة لقياس إنتاج ما أي كان نوعه ، ففي الشّعر كذلك ، المعيار هو المقياس الذي يقاس به إنتاج الشّعراء ، للحكم عليهم وترتيبهم حسب المقاييس والمناهج المتفق عليها بين المبدع وهو الشاعر والناقد أو الملتقي.

ومن هنا هو مقياس أو مقدار أو وزن أو أي شيء ذو مواصفات محددة ومقبولة ومتعارف عليها ، ويستخدم كأداة للتقدير والقياس ، كما يقصد به المثل بكسر الميم وتسكين الثاء.

2- مدلول المعيار في القرآن الكريم:

لم ترد كلمة معيار في ألفاظ القرآن الكريم ، ولكن وردت كلمات تحمل معناها اللغوي مثل كلمة (مِثْل) و (قَدْر) و (وَزْن) فقد قال الله تعالى: (لمثل هذا فليعمل العاملون) [3].

توضح هذه الآية أنه يجب الالتزام بشرع الله (المنهاج) في عملهم حتى يدخلوا الجنة.

1() محمد زغلول سلام ، تاريخ النقـد الأدبـي والبلاغـة حـتى القـرن الرابـع الهجري ، ط 3 ، دار المعارف ، الإسكندرية، ص 136.

2() ابن منظور ، لسان العرب ، مادة المعيار .

3() سورة الصافات : آية (61).

كما قال الله سبحانه وتعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم(137) صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) [1].

ومدلول هذه الآية إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، وإن انحرفوا وأعرضوا عن الإيمان بمنهج الله فأعلم أنهم يريدون المخالفة والعداء وأعلم يا محمد أن الله سينصرك عليهم ، ومدلول كلمة مثل في الآيات السابقة تعني المنهج والطريق والصبغة التي يجب أن يسير ويلتزم بها الناس وتعتبر أساساً لتقديم أعمالهم.

كما وردت كلمة قدر بمدلول التقدير والمقياس ، مثل قوله تبارك وتعالى: (إنَّا كل شيء خلقناه بقدر) [2]. وقوله جل وعلا : (وخلق كل شيء فقدره تقديرا)[3].

يستنبط من هذه الآيات أن كلمة القدر تعني التحديد المسبق للشيء ، فيقال قدر كل شيء ومقداره أي مقياسه وقياسه ، وقدر الشيء بالشيء بقدره قدراً وقدرة: قاسه وقادرت الرّجل الرّجل مقادرة إذا قايسته وفعلت مثل فعله[4].

ويقول سيد قطب في تفسير الميزان : بأنه الميزان الثابت والذي يرجع إليها الناس ، لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال ، وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة ، وتصادم المصالح والمنافع ، ميزاناً لا يحابي أحد لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع[5].

ويستنبط من الآيات القرآنية السابقة أنه وردت لكلمة معيار في القرآن مرادفات هي : مثل وتعني النمط الذي يقتدي به ، وقدر وتعني الشيء المحدد مقدماً ، ووزن وتعني المقياس أو المكيال الثابت والذي يعتبر المرجع أو الدستور والذي على أساسه تقوم الأعمال والأحداث وتوزن أو تكال به الأشياء.

3- الدلالة الاصطلاحية لمصطلح المعيار:

جاء في اللغة والقرآن الكريم والسنة والأدب مترادفات له وهي (مثل – وقدر - ووزن) أي هو المقدار أو الميزان الذي تقوم

1() سورة البقرة : آيات (137- 138).

2() سورة القمر : آية (49).

3() سورة الفرقان : آية (2) .

4() ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثالث ، ص 31.

5() سيد قطب "في ظلال القـرآن" دار الشـروق ، المجلـد السـادس ، ص 34940.

على أساسه أعمال وتصرفات الناس وتقاس أو توزن به أشعار الشّعراء ، إذن هو الأداة التي من خلالها تقييم إنتاج الشّعراء ، وعلى أساسها يتفاوتون في المراتب والدرجات والطبقات كما هو عند ابن سلام ، وهذا ما نحن بصدد معرفته ، في طبقات ابن سلام الجمحي.

مفهوم الفحولة :

(فحل): الفحل معروف : الذكر من كل حيوان ، وجمعه أَفْحُل وفَحول وفحِال مثل الجمالة ، قال الشاعر : فحالة تطرد عن أشوالها.

قال سيبويه : ألحقوا الهاء فيهما لتأنيث الجمع ، ورجل فحيل : فحِل ، وإنه بيِّن الفحولة والفحالة والفحِلة. وفحل إبله فحلاً كريماً : اختار لها ، وفتحل لرواية فحلاً كذلك. الجوهري : فحلت إبلي إذا أرسلت فيها فحلاً ، قال أبو محمد النقعسي:

نفحلها البعض القليلات الطبع * * كم طل عُرَّاص ، إذا هُزّ اهتزع

أي نرقيها بالسيوف ، وهو مثل : الأزهدي : والفحِلْة افتحال الإنسان فحلاً لرواية ، وانشد :

نحن افتحلنا فحلنا لم نأته :

قال : ومن قال : استفحلنا فحلاً لرواينا فقد أخطأ ، وإنما الاستفحال ما يفعله علوج أهل كابل وجُهَالهم ، وسيأتي.

والفحيل: فحل الإبل إذا كان منجباً. وأفحل: اتخذ فحلاً: قال الأعشى :

وكل أناس ، وإن أفلحوا * * إذا عاينوا فحلكم بصبصوا

وبعير ذو فحلة : يصلح للافتحال . وفحل فحيل : كريم منجب في ضرابه، قال الراعي :

كانت نجائب منذر ومحرق * * أما تهن ، وطرقهن فحيلا

قال الأزهري : أي وكان طرقهن ولخلا منجيا ، والطرق : الفحل ها هنا ، قال ابنُ بري : صواب إنشاد البيت : نجائب منذر بالنصب ، والتقدير : كانت نجائب منذر ، وكان. طرقهن فحلاً.

وقيل الفحيل كالفحل ، عن كُراع. وأفحله فحلا : أعاره إياه يضرب في إبله. وقال اللحياني: فحل فلانا تعبداً وأفحله إياه وافتحله أي أعطاه ، والاستفحال شيء يفعله أعلاج كابل إذا رأوا رجلاً جسيماً من العرب خلوا بينه وبين نسائهم رجاء أن يولد فيهم مثله ، وهو من ذلك[1].

هذا ما ورد في لسان العرب بخصوص معاني الفحل.

الفحولة : في الاصطلاح :

1() ابن منظور ، لسان العرب (مادة الفحل).

وردت الفحولة عند النقاد القدامى مثل : أبو عمرو بن العلاء ، والاصمعي، وابن سلام الجمحي ، فذكورة الفحل عندهم فوق ميزتها الاختلافية عن الأنثى ، لها ميزة أخرى من خلال اختلافها عن الخصي أو الصغير ، وكأن خاصية الإنجاب والقوة التي تحملها صفة الفحل إلى الشاعر تستلزم ثراء شعرياً وتميزاً ، ولذا كان الحكم والوفرة مقياساً للفحل من الشّعراء عند الأصمعي، وهكذا كانت عند بن سلام من خلال الكثرة أو الإنتاج وتعدد الأغراض والجودة والتقارب ، وقد جعل الفحولة أساس من أسس المفاضلة في نظام تقسيم الطبقات ، وبذلك استطاع بن سلام أن يخلق نظاماً جديداً لدراسة الشّعراء[1].

وفي التدقيق في الدلالة الهامشية لألفاظ الفحول وصفات الجياد والإبل يتضح أن الجمحي يعد الفحولة قوة الاقتدار على الشّعر ، وشدة أسره ، والبعد به عن الضعف ، والركاكة ، والوهن بل والليونة ، يتردد ذلك في كل ملاحظاته النقدية على الشّعراء في المواضع المختلفة[2].

قال محمد بن سلام الجمحي: "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كلٌّ طبقة ، متكافئين معتدلين"[3].

مفهوم الجودة :

1-الدلالة اللغوية لمصطلح الجودة:

"جاء في لسان العرب" : " الجيد : نقيض الرديء : على فعْيل ، وأصيلة جيود فقبلت الواوياء لأنكسارها ومجاورتها الياء ، ثم أدغمت الياء الزائدة فيها والجمع جيادُ ، وجيادات جمع الجمع ، أنشد ابن الإعرابي":

كم كان عند بني العوام من حسب * * ومن سيوف جيادات وأرماح

يقول صاحب المحيط : "الجيد ككتيس ضد الردئ ، ج: الجياد والخيارات وجيائد وجاد (يُجودُ) جُودة: صار جيد ، وأجاده غيره ، وجاد وأجاد : أتي بالجيد فهو الجواد ، واستنجاره : طلب

1() انظر: صالح زياد، القارئ القياسي ، دار الفارابي للنشر ، 2008م ، ص 128 – 130.

2() محمد بن سلام الجمحي وكتاب "طبقات فحول الشّعراء" محمد علي أبو حمدة ، ص 72 ، دار البشير للنشر: عمان ، 1998م.

3() محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 24 ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م.

جوره فأجاده درهما : أعطاه إياه. وفرس جواد ، بين الجوده بالضم : رائع: والجود المطر الغزير. والجودة : العطشه"[1].

كما جاء في مختار الصحاح بمعني: "ج ود شيء جيد والجمع (جياد) و (الجيائد) بالهمزة على غير قياس. وأجاد بما له بجود بما له (جودا) فهو جوادُ. وقوم جودُ يوزن هو (أجواء) بالفتح و (أجاود) بوزن مساجد ، وجوداءُ يوزن فقهاء وكذا امرأة جواد ونسوة جود أيضاً".

وجياد الشيء يجود جودة بفتح وضمها أي صار جيداً وأجاد الشيء فجاد وجودة أيضاً تجويداً.

وشاعر مجواد بالكسر أي يجيد كثيراً وأجاد النقد إعطاه جياداً واستجاره عده أو الجيد العنق والجمع أجياد[2].

ويقول صاحب (تاج العروس): الجيد ككيّس ضدُّ الردى على فيْعل وأصلةُ جيود قلبت الواو ياء لانكسارها ومجاورتها الياء ثم أدغمت الياء الزائدة فيها.

جياد وجيادات جمع الجمع ، وجاء جيداً وأجاد عنده فأجاد : أتي بالجيد من القول والفعل ويقال أجاد فلان في عمله وأجود وجاد عمله يُجود جودة وجُدْت له المال جوداً فهو مجواد بالكسر ومُجيد أي يجيد كثيراً واستجاده: وجده جيداً أو طلبه جيداً وتخبره كتجودة وفي الأساس : أوجدتك ثوباً: اعطيته لك جيداً[3].

يقول صاحب العين: "جود جاد الشيء يجود جودة فهو جيد ، وجادِ الغرس يجود جُودَه فهو جواد. وجاد الجواد من الناس يجود جوداً".

وقوم أجواد وجودّ في عدوة تجويدا ، وعدا عدواً جواداً.

وهو يجود بنفسه ومعناه يسوق نفسه ، من قولهم : (إن فلان ليُجادُ إلى فلان ، وإنه ليجاد إلى حتفه أي يساق إليه) [4].

ومن خلال هذه التعريفات المختلفة التي وردت في المعاجم نستنتج أن للفظة الجود مفاهيم عدة تتفرق استعمالاً لتجتمع في مصبِّ واحد ألا وهو الجيد ضد الرديء ولعل أبرز وأهم هذه المفاهيم المختلفة :

العطاء – الطلب – السخاء – المطر الغزير – العطشة .

إلا أن ما يهمنا من هذه المفاهيم في هذا البحث ، هو الحسن والجيد ضد الرديء الذي اتخذه العديد من النقاد

1() ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (الجود) .

2() زين الدين محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مادة (الجواد).

3() محمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القـاموس ، مادة (جود).

4() أبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (الجود).

والشّعراء معياراً من المعايير لتصنيف الشّعر والشّعراء إلى درجات ومراتب وطبقات ، ويعتبر ابن سلام الجمحي من بين النقاد الذين ساروا وفق هذا المنظور وانتهجوه لتصنيف الشّعراء إلى طبقات من خلال كتابه طبقات فحول الشّعراء الذي يعدّ مادة هذا البحث.

2- الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الجودة:

هي صفة للشّعر الجيد دون الرديء ، وهي من الأسس التي يبني عليها نقد الكلام[1].

يدل المعنى اللغوي دلالة واضحة على المعني الاصطلاحي الذي انتقل إليه فصار يفهم من الجودة الشيء الحسن غير الرديء .

ترددت لفظة الجيد والجودة كثيراً في كلام النقاد ، وبعد تتبعي لهذا المصطلح في كتب التراث وجدت بواكير الإشارات التي دلت على هذا المصطلح عند الناقد ابن سلام الجمحي عند مدحه للشّاعر كُثير عزة الذي "كان فيه مع جودة شعره خطل وعجب"[2].

يذكر الجاحظ هذا المصطلح: "وحدثني صالح بن خاقان ، قال: قال : شبيب بن شيبة والنّاس موكّلُون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه ، وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفع من حظ سائر البيت"[3].

وربط ابن قتيبة بين مصطلح الجودة واللفظ والمعني كما أن الجودة عنده من المعايير التي يختار بها الشّعر ، فيقول: "وليس كل الشّعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه"[4].

ويجعل الجودة شرطاً عند تقسيمه لضروب الشّعر فبعضه " جيد المعني ، وبعضه الآخر جيد اللفظ"[5]. وأورد ابن طباطبا

1() مطلوب أحمد ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1989م ، ص 1/430.

2() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تح: محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ص 2/541.

3() أبو عثمان عمرو بن حجر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ص 1/139.

4() ابن قتيبة ، الشّعر والشُّعراء ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، 2003م ، ص 85.

5()أبو عثمان عمرو بن حجر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 65 – 66 .

العلوي مصطلح الجودة عند حديثة عن الأشعار المحكمة المتقنة التي "إذا انقضت وجعلت نثراً لم تبطل جودة معانيها"[1] ، ويقول في موضع آخر: "فينبغي للشّاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب"[2].

فالجودة عند ابن طباطبا من صفات الشّعر المتقن وهي كذلك عند قدامة بن جعفر ، فالشّعر إذا توفرت فيه جملة من العناصر : " سمي شعراً في غاية الجودة"[3]. وإذا انتفت منه تلك العناصر "سمي شعراً في غاية الرداءة"[4].

ومن هنا فإن الجودة هي أدوات النقاد في بيان جمال العمل الأدبي ، وهي وسيلة لتصوُّر تجربة النقاد وإيصالها إلى المتلقي التي تصوّرها الألفاظ في أدق تصوير.

معيار الجودة عند بعض النُقاد القُدامي:

بعد أن ينتج الشّاعر قصيدته ينقحها لكي تخرج ليتداولها الجمهور ، وتطير بين يدي النقاد يحكموا عليها بأنها استوفت لشروط الجودة ، أو أنها وقعت في المحظور وانطبقت عليها الرواءة ، ويكون هذا الحكم مبنياً على ما تعارف واتفق عليه المبدع والمتلقي من شرائط واعتبارات ، وسنن يلزم المبدع اتخاذها بعين الاعتبار عند ممارسة الإبداع ويتخذها المتلقي معياراً يحكم به على ما أنتجه الشاعر.

والشّعر خصائصه التي تمييزه عن صفوف القول الأخرى ، وله بعد ذلك شرائط ومعايير تميز الجيد من المتوسط من الرَّديء ، وهذه الشرائط تشمل اللفظ ، والمعني والتركيب كما تشمل الوزن والقافية ،فردَّ على ذلك شكل للقصيدة وهندستها والتحام أجزائها وضمن هذا نجد ما يتبقي على الشاعر اتباعه من نعوت، وما يجدر به اجتنابه من عيوب حتى يحصل في نهاية المطاق على شعر يوصف بالجودة ويبعث بالحسن وهو المراد.

والشّعر في حقيقته خليط من أمور كثيرة بالغة التداخل والتواشج والتعقيد ، وأي خطأ في شيء منها قد يرديء بالشّعر إلى مواضع الرَّداءة والغتاتة ، ولذلك لابد للشاعر أن يحرص على أن يخرج إبداعه في صورة مكتملة ما استطاع إلى ذلك سبيلا

1() ابن طباطبا العلوي ، محمد بن أحمد ، عيار الشعر ، تح: طـه الحـاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجاريـة الكـبرى ، القـاهرة ، 1956م ، ص 7.

2() المصدر نفسه ، ص 9 .

3() قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تح: بونيباكر ، مطبعة بـرل ، ليـدن ، ص 3 .

4() المصدر نفسه ، ص 3.

وذلك من خلال مجموعة من المعايير التي وضعها كبار النقاد ، ولعل أبرز هذه المعايير معيار الجودة والرداءة اللذين كانا محل اهتمام النقاد والأدباء في التراث الأولى والنقدي فما من شاعر ، أو كاتب إلا وكان يسعى لجودة ما ينتجه من شعر ، وعليه يكون الشاعر ملزماً بطريقة أو بأخرى أثناء لحظة الإنتاج ، وتنقيح الإبداع أن يصنع في حسبانه السنن المتعارف عليها في إبداع الشّعر ، التي وضعها النقاد.

معيار الجودة عند الأصمعي :

هذا المعيار الذي يتخذه الأصمعي مقياساً يقيس من خلاله فحولة الشّعراء قيمة كبيرة ، وقبل أن نتناول هذا المعيار لابد من لفت النظر إلى أن فحولة الشّعراء لدى الأصمعي تعني فحول الشّعراء ، فالفحولة جمع فحل ، وليس المقصود بها معيار نقدياً معيناً ، أو مقياساً فنياً واضح الأسس والمحاكم ، تقاس به شاعرية الشّعراء ، ويعرف من خلاله مدى براعتهم في الإبداع الشّعري ،كما قد يتبادر إلى الأذهان ، فالأصمعي يريد أن يعرفنا بالشّعراء الجاهليين الأكثر إبداعاً وتفوقاً ، وتألقاً ،فوجد أن يصفهم بالفحول ، ولا شك أنه كانت في ذهنية الأصمعي وعقليته النقدية معايير معينة ، استطاع من خلالها أن يضع بعض الشّعراء في زمرة الفحول ، في حين أنه استعبد آخرين ، ووجدوا أنهم لم يصلوا إلى مرتبة أولئك في إبداعهم الشّعري ، ولعل أبرز هذه المعايير والمقاييس التي اعتمد عليها في تصنيفه للشعراء هي:

1- جودة الشّعر.

2- الكم الشّعري.

3- الزمن.

4- غلبة صفة الشّعر على الشاعر.

إلا أن ما يهمنا من بين هذه المعايير معيار جودة الشّعر لأنه مهم جداً في تقييم الشاعر وقياس فحولته ، وبيان تميزه ومقدار براعته في نظم الشّعر وسنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء عليه.

1- معيار جودة الشّعر :

إن الشاعر المجيد له أفضال عديدة على باقي الشّعراء ، لأنه بمثابة المحور الأساسي والمرجع الذي ينهل منه الشّعراء : ليس الشاعر المجيد هو فاتح الطريق لباقي الشّعراء في الكثير من الموضوعات ، وتطويع الأغراض الشّعرية ؟ ومثل هذه

المكانة أولاها الأصمعي لأمرئ القيس وذلك في قوله (ما أرى في الدنيا لأحد مثل)[1] قول امرئ القيس :

وقاهم جدهم ببني أبيهم * * بالأشقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال: (بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الخطوة والسيف وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه) [2].

ولم يخف الأصمعي إعجابه الشديد بامرئ القيس لما يحويه "قال أبو حاتم وسأله رجل: أي الناس ترا أشعر ؟ قال النابغة : "تقدما عليه أحد"[3].

قال: "ولا أدركت العلماء بالشّعر يفضلون أحد"[4]. فما سبب هذا التفضيل الذي خص به النابغة من قبل علماء الشّعر وعلى رأسهم الأصمعي ؟ لابد أنها جودة الشّعر التي تتخذها لقياس شاعرية ، شاعر عن الآخر ومن ثم فحولته مما تميزه عنهم.

إننا نلاحظ الأصمعي وهو يتعرض للشعراء غير الفحول أنه ينظر إليهم بعين بصير بالشّعر ، يمكن ذلك من التمييز بدقة جودة الشّعر ، ورداءته ، ويحكم من خلالها على فحولته أو عدم فحولته ، أي فالشاعر الجيد للشعر فحل تارة باجتماع خصائص غير فحصل ينقص بعض الحقائق تارة. ونجد أن الأصمعي يمثل لانعدام فحولة لبيد بن ربيعة:

"قلت : فلبيد بن ربيعة".

قال : ليس بفحل "ثم قال لي مرة أخري: كان رجلاً صالحا ، وكأنه ينفي عنه جودة الشّعر"[5].

فلبيد في رأي الأصمعي ليس في الشّعراء الفحول ، والسبب هو نفي عنه جودة الشّعر كما اعتقد أبو حاتم ، وقد حدث الأصمعي ذات مرة قال: "سمعت أبا عمر بن العلاء يقول : ما أحداً أحب إلى شعراً من لبيد بن ربيعة ، لذكره الله عز وجل ، ولإسلامه ، ولذكره الدين واالخير ، ولكن شعره رحي يزر"[6].

1() الأصمعي: فحول الشّعراء ، تحقيق شارلس توري ، تقديم الدكتور صلاح المنجد ، الطبقة الأولى ، 1389هـ - 1971م ، ص 10.

2() الأصمعي ، فحول الشّعراء ، تح: شارلس تودي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 2 ، 198 ، ص 30.

3()المصدر نفسه ، ص 30.

4() المصدر نفسه ، ص 31 .

5()الأصمعي ، فحول الشّعراء ، ص 50 .

6() أبي عبد الله بن عمران بن موسي المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء : تح : محمد حسين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1995م ، ص 89.

فالمعيار للجودة الشّعرية هنا أساس اعتمده الأصمعي في تقييم شعر لبيد. عمد الاصمعي في تمييز الشّعراء الفحول ، وغير الفحول ، عبر معايير متمايزة حسب ما وجد عند الشاعر من جودة ، وحسن الظن ، ففي موضع آخر تراه يقدر أن كعب بن سعد الغنوي "ليس من الشّعراء الفحول إلا في المرثية ، فإنه ليس في الدنيا مثلها"[1].

ومرثيته هي البائية التي رثي بها أخاه إذ يقول في مطلعها:

تقول ابنه العبسي قد شبت بعدنا * * وكل امرئ بعد الشباب يشيب

وهذا دليل على إعجاب الأصمعي الشديد بجودة هذه القصيدة وبالتالي فمكانة كعب بن سعد الغنوي عنده مرموقة ، فقد أولاه درجة الفحول كما أن هذا دليل آخر إن الفحولة عند الأصمعي ، غير مقصورة على شعر الشاعر جميعاً بل يمكن لها أن تقتصر على قصيدة واحدة فقط ، ويكون الشاعر فحلاً من خلالها.

وبالتالي معيار جودة الشّعر ، من أحكم وأقدر المعايير التي تحدد مقدرة الشاعر الفنية ومدى حسن نسجه وبراعة نظمه ، وتبين مدة مكانته بين الشّعراء ، وفحولته.

2- معيار الكم الشّعري (معيار الكثرة):

وهو من المعايير ،والمقاييس التي اعتمد عليها الأصمعي في تصنيفه ، وترتيبهم للشعراء الفحول ، وغير الفحول ، ونقصد به كثرة الشّعراء ، وكثافته ، فكلما كان الشاعر مقوالاً مكثراً كان له النصاب الذي يرتقي به إلى مصاف الفحول، ولا يحدد الاصمعي عدد القصائد التي ينبغي أن يقولها الشاعر حتى يعد فحلاً ، بل يتخذ من القصائد الجيدة أنموذجاً متعاقب طالب من خلاله الشاعر أن ينسج على منواله. يقول أبو حاتم السجستاني: قلت فالحويدرة : قال: "ولو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا"

أما قصيدته العينية التي مطلعها :

بكرت سمية غدوة فتمتع ** وغدت غدو مفارق لم يرجع[2]

فالحويدرة من الشّعراء الجاهليين البارزين وهو في نظر الاصمعي مقل ، والعينية التي أتي بها ذات مرتبة عالية اتخذها الأصمعي مقياساً له في الفحولة فقط لو نسج على منوالها خمساً أخر.

1() الأصمعي ، فحول الشّعراء ، ص 48.

2()الأصمعي ، فحولة الشّعراء ، ص 40.

فمن هنا تقول: لابد لمعيار الكثرة من أن يكون مرتبطاً بمعيار آخر وهو الجودة الشّعرية في معظم الأحيان ، ويمكن عدة عاملاً مرجحاً إذا تساوي شاعران في جودتهما وتفوق أحدهم على الآخر .

3- معيار الزمن :

إن الأصمعي في تقسيمه للشعراء اعتمد على معايير كثيرة اتخذها مسوغاً لتبريراته في فحولة شعراء على غير فحولة بعض ، فالشّعراء الجاهليين منهم من هو فحل دون منازع ، وفحولته ظاهرة لا غبار عليها. أما باقي الشّعراء بعد العصر الجاهلي فغدا بينهم حجيتهم ، ويحدد مكانتهم ، انطلاقاً من معيار يعد الأساس الأوحد ، في تحديد مراتب أولئك الشّعراء ، إنه عامل الزمن ، الذي يحدد مكانة الشاعر على مر العصور ، فقد وردت أحكام في ذلك الشأن عند الأصمعي. "وقلت: فجرير والفرزدق والأخطل ؟ هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون"[1].

فالشاعر الإسلامي عند الأصمعي له مكانة أخري غير مكانة الفحول الجاهليين ويتحرج في إصدار أحكام فيهم.

والملاحظ أن الأصمعي يفضل الشّعر الإسلامي ، أو بصفة عامة شعر الشّعراء غير الجاهليين ، ويرويه وينشده ، وذلك راجع إلى ما فيه من الحلاوة ، والروعة والجمال ، من القوافي الرَّقيقة ، والمعاني الحلوة السهلة .

ولكنه صارم في الفصل بين الشّعراء ،ولغوى من الدرجة الأولى ، فمهما بلغت مكانة الشاعر ، وجودة شعره فلا حجة له إذا لم يكن جاهلياً.

معيار الجودة عند ابن سلام:

يعد ابن سلام من النقاد الذين أولو لمعيار الجودة العناية الكبيرة في ترتيبه الطبقي ، فالشاعر المكثر المجيد والمتعدد الأغراض مقدم على المكثر المجيد الذي لم يقل إلا في غرض أو اثنين ، أما كثرة الشّعر ؛ وتنوع أغراضه فإنهما لا يقدمان الشّاعر إذا كان شعره رديئاً لأن معيار الجودة يحتم تقديم المجيد على غيره من الشّعراء حتى ولو سلك أغراضاً عديدة في الشّعر. هذا حكم ابن سلام وعليه فما هي أسس الجودة التي حكم بها ؟

فهو يقول مثلاً: "وكان الأسود شاعراً فحلاً وكان يكثر التنقل في العرب ويجاورهم ، فيذم ويحمد ، وله في ذلك أشّعار ، وله واحدة رائعة طويلة ، لاحقة بأجود الشّعر ، ولو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته"[2].

1()الأصمعي ، فحولة الشّعراء ، ص 44.

ويقول أيضاً في حسان بن ثابت (أشعرهم حسان بن ثابت ... وهو كثير الشّعر جيّده) [1].

وبسبب الجودة وضعه ابن سلام على رأس فحول شعراء القرى العربية. ويقول أيضاً: "كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان قليل الشّعر جيّده"[2].

ومن أجل هذا جعله في زيل الطبقة الثامنة من الشّعراء الإسلاميين والجودة عند ابن سلام هي من المعايير الأساسية للحكم على الشّعر والشّعراء إضافة إلى معياري الكثرة وتعدد الأغراض الشّعرية ومن خلال هذا كله نجد أن ابن سلام اعتمد على معايير فاضل من خلالها بين الشّعراء والتي استقاها من النقاد الذين سبقوه وعلى رأسهم الأصمعي.

وهذا عن معيار الجودة لدى ابن سلام والذي سنعود إليه ونوفيه حقه في الفصول القادمة وقبل هذا سنحاول تقديم لمحة عن حياة ابن سلام الجمحي .

2
شاكر ،الناشر دار المدني جدة (د.ت) ج:1 ، ص 147.
1()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 215.
2()المصدر نفسه ، ص 733.

الفصـــل الثانـــي

صاحـــــب الكتـــــاب

- المؤلف وكتابه .
- مولده – نشأته – مكانته .
- تعريف الكتاب وأهم القضايا التي تناولها.

المؤلف وكتابه :
أولاً: محمد بن سلام الجمحي:
1- مولده ونشأته :
"هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد اله بن سالم الجمحي البصيرتي، مولي قدامة بن مظعون الجمحي بالولاء ، ولد بالبصرة سنة (139هـ- 756م) ، وتوفي في بغداد سنة (232هـ- 847م) نشأ في البصرة في بيئة علماء العربية الأوائل ، وفحولها، والتقى بكثير من علماء اللغة والنحو ورواد الأدب ، والثقات، وسمع من شيوخ العلم والحديث ، والأدب وروى عنهم ، فحدث عن حماد بن سلمة ، ومبارك بن فضالة ، وزائدة بن أبي الرقاء وأبي عوانة ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ... وقد اشتهر ابن سلام بسعة علمه وصدق روايته ، ومن روى من الثقات : أحمد بن يحب ثعلب ، وأبو يحي ثعلب ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياضي ، والمازني ، والزَّيادي، وأحمد بن حنبل ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو خليفة الجمحي"[1].
2- مؤلفاته :
ذكر بن النديم في الفهرست هذه المؤلفات لابن سلام :
1. كتاب الفاصل (ورعا الفاضل) في ملح الأخبار والأشعار.
2. كتاب بيوتات العرب .
3. كتاب طبقات الشعراء الجاهليين .
4. كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين .
5. كتاب الحلاب وأجر الخيل.

وذكر له ياقوت الحموي في معجم الكتاب كتابين هما :
6. كتاب في طبقات الشعر.
7. غريب القرآن .
8. كتاب طبقات فحول الشعراء [2].

وهذا الأخير هو محل اهتمامنا من دراستنا هذه ، فهو يعتبر من أقدم كتب النقد الأدبي ، ومؤلفه ابن سلام الجمحي من أوائل النقاد الذين اعتنوا بالشعر والشعراء فهو أول من خصَّ النقد الأدبي بدراسة مستقلة بعد أن كان جملاً وفقرات متناثرة في بطون الكتب ، ولقد اعتبره الدارسون أول كتاب ألف في تاريخ الأدبي العربي ، ولا يكاد يفضله باحث أو دارس يؤرخ لحركة النقد العربي ، ويعتبر تحقيق الأستاذ " محمود محمد شاكر" له من أوفى التحقيقات وأدقها لما بذل فيه من جهد كبير.

ويظهر ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء" ناقداً أدبياً مميزاً ، أدرك منذ وقت مبكر كثيراً من أسباب الجودة

1() د: عيسي علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، (دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1997م ، ص 107- 108).
2() المصدر نفسه ، ص 108.

والإخفاق في الشعر العربي القديم ، وتدل آراءه الخاصة المبثوثة في الكتاب على ذوق نقدي حصين ، قادر على إنزال الشعراء منازلهم ، واستخلاص الرائع من أشعارهم على سبيل الحجة والدليل.

3- أهمية ابن سلام ومكانته :

يعتبر ابن سلام الجمحي أول من نظم البحث في القضايا الأدبية والنقدية المختلفة ، وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها الحقائق الأدبية في كتابه طبقات فحول الشعراء ، وقد شارك معاصريه في كثير من الأفكار ، لكنه محصها وحققها وأضاف إليها ، وصبغها بصبغة البحث العلمي وسلكها في كتاب خاص هو خلاصة ما قيل في عهده من أحكام في أشعار الجاهلية ، والإسلام ، فالطريق بينه وبين من عاصره كثير ، حيث زاد على ما قالوا في النقد في كتابه الذي يعد من أسبق الكتب في ذلك المجال ، فكان أول المؤلفين في النقد الأدبي ، بالإضافة إلى أنه قد جمع الآراء المبعثرة التي قالها الأدباء ، والعلماء ، في الشعر والشعراء ، ودرسها دراسة نقدية بروح عالم متأثر بطريقة عصره في الاستيعاب، والشرح ، والتحليل وذكر الأسباب والمسببات في كتابه طبقات فحول الشعراء الذي سنفصل الحديث عنه.

4- كتاب طبقات فحول الشعراء:
1/ تسميه:
قام محمود شاكر بتحقيق الكتاب وجعله تحت عنوان "طبقات فحول الشعراء" وقد يرد ذلك بالأسباب التالية :
أ- إن اسم "طبقات الشعراء" لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة ، فإنه لم يستوفِ فيه ذكر الشعراء بل اختار منهم عدداً معلوماً ، والذي أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعـاف ما ذكره. إذن قاسم "طبقات الشعراء" "ثوب فضفاض لما يطابق ما في كتابه".
ب- لأن محمود شاكر قد وجد أن ابن سلام قد أوجد اللفظ المطابق لمعني ما أراد في كتابه ، فهو يقول: "فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً"[1].
وهذه كلمة دالة ، وهي مطابقة لما فعل ، فإنه وازن بين الشعراء ، "فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه" و "نزلهم منازلهم"[2] بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضي من أهل العلم ، إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقة ، "فرأيت أن تسميه الكتاب باسم "طبقات فحول الشعراء" أولى وأدل من تسميته طبقات الشعراء"[3].
ج- رأى محمود شاكر على نسخته التي نقلها بيده منذ زمن طويل عنوان طبقات فحول الشعراء ، وكم يدري أكانت هذه الكلمة في الأم العتيقة ، ثم نقلها كما هي ، أم كتبها من عنده ؟ وهو يرجح الأول ، وأجهل من أن ينظر نظراً صحيحاً في مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والرصد.
من أجل هذا لم يتردد محمود محمد شاكر في جعل اسم كتاب "طبقات فحول الشعراء" فإن كان هو الاسم القديم الذي سمي ابن سلام به كتابه ، فذاك وإلا فإنه يراه بعد ذلك كله بأن يكون أسماً للكتاب ، دون الذي عرف به ، يقول الدكتور عيسي علي العاكوب : "وقد أكد التسمية الأخيرة ، ودافع عنها الأستاذ محمود محمد شاكر ونشر الكتاب تحت هذا العنوان"[4].
ثانياً: دواعي تأليف الكتاب:
الذي يبدو أن ابن سلام أراد أن يقدم لأهل العلم كتاباً يتضمن حصيلة معرفية ، لما يستغني عنها من أراد الإلمام بشيء من أمر العرب ، من جهة شعرهم وشجاعتهم وسيادتهم

1() محمد بن سلام ،كتاب طبقات فحول الشعراء ، ص 21.
2() المصدر نفسه ، ص 24.
3() المصدر نفسه ، ص 21.
4() د.عيسي علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، ص 69.

وأيامهم ، وقيل هذا الكتاب جزء من المشروع. يقول في مقدمة الطبقات : "ذكرنا العرب وأشعارها ، المشهورة والمعروف من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامهم ، فاقتصرنا من ذلك ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عنه علمه ناظر في أمر العرب ، فبدأنا بالشعر ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء"[1].

ثالثاً: ماهية الكتاب:

إن المتأمل لكتاب طبقات فحول الشعراء يجد أن ابن سلام قسم كتابه إلى قسمين رئيسين : المقدمة والمتن ونجد أن الرجل أراد في المقدمة أن يحدد المؤثرات العامة والخاصة التي تؤثر في الأحكام النقدية على أشعر الشعراء. أما المتن فقد خصه لتفصيل القول في طبقات الشعراء ، جاهليين وإسلاميين.

- افتتح ابن سلام كتابه بمقدمة قيمة تعكس أهمية الكتاب ، وغايته ، ومنهجه ، أما أهمية الكتاب فتتجلى في عدة أمور: اهتمامه بالشعر العربي القديم ، وحياة قائليه وحالهم ، يقول: "ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها ، أشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط الشّعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما يجهله عالم، ولا يستغنى عن عمله ناظر في أمر العرب ، فبدأنا بالشعر"[2].

وهو في عمله هذا لا يهدف إلى جميع أشعار القدماء ، والحديث عن أخيارهم وأيامهم فحسب ،بل إن هدفه الرئيس هو تخليص ذلك الشعر مما علق به من شوائب ، وما أضيف عليه من منوع مفتعل ، ثم التنبيه على مكانة كل شاعر ومنزلته بين شعراء عصره ولكسب يحقق ابن سلام هذه الغاية تراه قد استعرض معظم المقاييس النقدية التي كانت سائدة في عصره ثم حدد بعض الشوائب التي سيأخذها من ذلك ما نراه من رفضه ، الأخذ بما ورد في بطون الكتب من أشعارها بقول : وقد تداولهم قوم – أي شعر – من كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه علي العلماء ، وليس إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على أبطال شيء منه. أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي ، ومنها ما نراه من التزامه برأي الجماعة حيث

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، جزء 1 ، ص 23 – 24 .

2() ينظر: محمد بن سلام الجمحي ، ص 26.

يقول: "وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر ، كما اختلفت في سائر الأشياء ، فأما ما اتفقوا عليه ، فليس على أحد أن يخرج منه". ثم تحدث عن أهمية عمل الناقد ، وما ينبغي أن يتزود به من صنوف العلم والثقافة ، إضافة إلى الذوق والفطرة ، والدرية الممارسة ، وذلك لكي يتمكن من القيام بالمهام الملقاة على عاتقه ، والتي منها إضافة إلي تمييز الجيد من الرديء ، وتلخيص ذلك الشعر .... من مصنوع وفي مقدمة كتابه تحث أيضاً عن الكثير من الأمور التي تتعلق بالشعر وبداياته وبعض ما أصابه من عيوب وآفات تتعلق بالنشأة الأولى وتدلل عليها ،وأبرز أخبار الشعر والشعراء ، وما طرأ على الشعر في الإسلام ... وكذلك اللغة العربية وأول ما تحدث بها ، والنحو العربي ونشأة مباحثه وتطورها ... ، وقبل أن يشرع في بناء طبقاته حدد المنهج الذي سيسير عليه بقوله: "... فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين" وقال في موضع آخر: "ثم اقتصرنا – بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضي من أهل العلم. إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا بعد – وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ونسمي الأربعة"[1].

رابعاً: أهم القضايا النقدية التي تناولها ابن سلام في كتابه :

1/ قضية الانتحال:

تعد قضية الشعر الموضوع أبرز القضايا النقدية التي عالجها ابن سلام في كتابه ، وهو أول من انتبه إلى خطورة هذه القضية في عصره ، ذلك العصر الذي ازدهرت فيه حركة التدوين ، حيث اهتم علماء العربية بجمع العلوم والمعارف العربية والإسلامية من أفواه الرواة وعكفوا على تحقيقها والتأكد من صحة روايتها وتخليصها مما علق بها من أغاليط الرواة ووضع الواضعين وقد لاحظ ابن سلام أنَّ بعض الشعر الجاهلي قد تناقله الرواة مصنوع ، واستدل على ذلك بدليلين ، أولهما . عدم وجود قرينة على انتماء بعض ما يتداوله الرواة مكتوباً إلى العصر الجاهلي ، فهو لم يأتِ مروياً عن أهل البادية ، ولم يعرض على علماء العربية الثقات[2].

1() ينظر : محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، مقدمة المحقق ، محمود شاكر ، ص 21 – 24.

2() نصر الدين إبراهيم أحمد حسين ، النقد المنهجي في كتب طبقات الشعراء ، ط 2003م ، الجامعة الإسلامية بماليزيا ، ص 68.

ثانياً: يعود إلى ضعف مستوي ذلك الشعر ، فهو شعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة عربية ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ،ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقنع ، ولا فخر معجب ، ولا نسب مستطرف...".

ومن هؤلاء الرواة نجده ينتقد محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، إذ يرى أنه هجَّن الشعر وأفسده وأورد في كتابه أشعار لأناس لم يقولوا الشعر قط ؛ بل أورد أشعاراً ترجع إلى قوم عاد وثمود ، قال: "كتب في السِّير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ" ، الأمر الذي جعل ابن سلام ينفي هذا الشعر ، ويرفضه مبيناً الأدلة التي تستدعي رفضه ، وهي[1]:

1- أدلّة قرآنية : وتتمثل فيما جاء في القرآن الكريم من آيات عديدة تتحدث عن الأمم السابقة ، وانقطاع دابر بعضهما ، فالله تعالى يقول : "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى "[2] ويقول في عاد : (فهل ترى لهم من باقية) [3] فإذا كان الله قد أهلك قوم عاد وثمود جميعاً فمن إذن حمل هذا الشعر ؟ ومن أدَّاه منذ آلاف من السنين ؟.

2- أدلّة تاريخية : وتتمثل في رجوع ابن سلام إلى تاريخ اللغة العربية ؛ واختلاف لهجات العرب ، وكذلك إلى تاريخ الشعر العربي ، حيث يرى :

- إن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود ، وليس يصح في الأذهان أن يوجد شعر بلغة لم توجد بعد . فأول من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم وإسماعيل كان بعد عاد وثمود.

- إن الشعر الموضوع – المنحول – الذي نسبه الرواة إلى قوم عاد لا يمثل لغة عاد فعاد من اليمن ؛ ولسان اليمانيين يختلف عن هذا اللسان العربي ،ويستند ابن سلام على ذلك بقول ابن عمرو بن العلاء : "العرب كلُّها ولد إسماعيل ، إلا حمير وبقايا جرهم"[4].

وقوله : "ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيَّتهم بعربيتنا"[5].

1() ينظر: محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 8 .

2() سورة النجم ، آية رقم (50-51)

3() سورة الحاقة ، آية (8)

4() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، جزء 1 ، ص 9 .

5() المصدر نفسه ، ص 11 .

ويقيم الحجة على رواة تلك الأشعار الموضوعة فيقول: "فكيف بما على عهد عاد وثمود ، مع تداعيه ووهيه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق ، ومثل ما روى الصحفيون ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم"[1].

- إن تاريخ الأدب العربي لا يذهب بالشعر الجاهلي إلى ذلك العصر الموغل في القدم ؛ بل إن ازدهار الشعر لم يكن قبل الإسلام بكثير ، " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقول الرجل في حاجته ، وإنما قُصدت القصائد ، وطول الشعر في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدلّ على إسقاط شعر عادٍ وثمود وحمير وتبّع"[2]. ثم يحدد ابن سلام الأسباب التي جعلت العرب تصنع الشعر وتنسبه لأناس لم يقولوه ، فيرى أن الانتحال يرجع إلى عاملين :

1- العصبية القبلية في العصر الإسلامي : إذ حرصت بعض القبائل العربية على أن تضيف لإسلامها ضروباً من المكانة والمجد ، فوجدت في الشعر ضالتها. ومعلوم أن الشعر الجاهلي قد ضاع منه الكثير ، قال أبو عمروا بن العلاء : "" ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"[3].

أما أسباب ضياع ذلك الشعر فقد بينها ابن سلام في قوله : "فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزوا فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، وراجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير"[4]. لذلك لاحظ ابن سلام قيام بعض القبائل التي قلَّ نصيبها فيما بقي من شعر بالوضع على ألسنه شعرائهم ، يقول ابن سلام : "فلما راجعت العرب رواية الشَّعر ، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلَّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار التي قيلت"[5].

1() المصدر نفسه ، ص 11.
2()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، جزء 1 ، ص 62.
3() المصدر نفسه ، ص 25 .
4() المصدر نفسه ، ص 25.
5() المصدر نفسه ، ص 42.

2- الرواة وزيادتهم في الأشعار : لم يقتصر دور بعض الرواة على وضع الشعر ونسبته إلى غير قائليه بل تجاوز ذلك بكثير ، فهم رغم وضعهم في المرتبة الثانية بعد تزيد العشائر أشد خطراً على الشعراء والشعر ، حيث لم يقتصر دورهم على الوضع بل تجاوزه إلى التزييف والخلط ، من ذلك مثلاً ما كان يفعله حمَّاد الرواية، الذي "كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار"[1]. وقد ذكر ابن سلام العديد من الروايات والوقائع التي تدلل على زيادة الرواية والرواة فيه وتزييفه وخلطه ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن ابن سلام وضع قاعدة نقدية مهمة ، من قواعد الدّرس النقدي التطبيقي ؛ حيث لفت الأنظار إلى ضرورة تحقيق نص قبل دراسته ، والتأكد من صحة نسبته لقائله ؛ وصحة روايته، وهو يرى أن هذا الأمر رغم صعوبته إلا أنه لا يخفى على أهل العلم : "وليس يشكل على أهل العلم . زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولّدون ، وإنما عضَّل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الأشكال"[2].

ثانياً: فكرة الطبقات :

لقد سعى ابن سلام – منذ الوهلة الأولى – إلى جمع شتات مشاهير الشعراء وجعلهم في طبقات تبين مكانتهم ، وهذا العمل كان يتطلب من ابن سلام التعرض للنصوص الأدبية بالتحليل حتى يظهر جمالها الفني ويعلل قصورها ، إلا أنه انصرف إلى الشعراء أنفسهم ذاكراً لهم ما يراه جيداً دون أن يذكر أسباب تلك الجودة في الغالب ، ولو نظرنا إلى مصنفه أو كتابه سنجد أنه يشتمل على مئة وأربعة عشر شاعراً جاء توزيعهم في الطبقات التالية:

1- طبقات الشعراء الجاهليين : وهي عشرة ، في كل طبقة أربعة شعراء.

2- طبقات الشعراء الإسلاميين : وهي عشرة ، في كل طبقة أربعة شعراء .

3- طبقة أصحاب المرائي : وتضم ثلاثة شعراء وشاعرة – الخنساء – وهي المرأة الوحيدة التي أوردها ابن سلام في طبقاته.

4- طبقة شعراء القرى العربية : وتنطوي على اثنين وعشرين شاعراً ، قسِّموا على النحو التالي :

أ- شعراء المدينة خمسة ، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس.

ب- شعراء مكة تسعة .

1()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات الفحول ، ج 1 ، ص 48.

2()المصدر نفسه ، ص 42.

ج- شعراء الطائف خمسة.
د- شعراء البحرين ثلاثة .
هـ- طبقة شعراء اليهود وتشمل ثمانية شعراء .

وقد نبَّه ابن سلام – وهو يُقدم على وضع الشعراء في طبقات – على أن ذكره شاعر قبل قرنائه في الطبقة الواحدة لا يعني أنه الأعلى مكانة ؛ المقدَّم على باقي شعراء الطبقة ، بل إن هذا الأمر لا يخضع لأي معيار نقدي ، لأنه لابد أن يبدأ بذكر أحدهم قول : "وليس تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له ، ولابُدَّ من مبتدأ"[1].

ومع ذلك نجد أن ابن سلام – في كثير من الأحيان – يوازن بين شعراء الطبقة الواحدة ، أو بين شاعر وآخر داخل الطبقة ، فيورد رأي العلماء فيهم ويختار من شعرهم ما يؤكد هذا الرأي ، ثم يفسر بعض الكلمات الغريبة التي قدر ترد في الشعر – وهذا قليل – أو يورد آراء علماء اللغة فيها ، وفي حالات قليلة يبين رأيه ، وشواهد ذلك في طبقاته كثيرة ، من ذلك مثلاً : ما نراه في المفاضلة بين شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ؛ وهم : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والأعشى ، حيث يورد العديد من آراء العلماء واختلافهم في المفاضلة بين شعراء هذه الطبقة ،ومن ذلك قوله: "اخبرني يونس بن حبيب : أن علماء البصرة كانوا يقدِّمون امرأ القيس بن حجر ، وأهل الكوفة كانوا يقِّدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهير والنابغة"[2].

وفي تبرير تفضيل امرئ القيس على شعراء طبقته قوله : "فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال : ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والبكاء على الديار، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالظباء والبيض ، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيَّ ، وقيَّد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى"[3]. أما ابن سلام فيرى أن امرئ القيس : "كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً ، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة"[4]. ثم يورد آراء من أحتج من العلماء للنابغة وزهير والأعشى ، ويناقش بعضها ويبيِّن رأيه فيها أحياناً.

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 50.
2() المصدر نفسه ، ص 52.
3()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 55.
4() المصدر نفسه ، ص 55.

وقد اعتمد ابن سلام في مفاضلته بين الشعراء ، وتصنيفهم في طبقات تبين مكانتهم الأدبية ومرتبتهم الشعرية على ثلاثة مقاييس عامة ؛ هي :

1- كثرة شعر الشاعر .

2- تعدد أغراضه .

3- جودة شعره.

أما مقياس الكثرة واعتماد ابن سلام عليه في المفاضلة بين الشعراء فنراه جلياً في غير موضع من كتابه ، من ذلك – مثلاً – ما نراه في تبريره تأخر منزلة طرفه بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد ، إلى الطبقة الرابعة ، إذ يقول: "وهم أربعة رهط فحول شعراء ، موضوعهم مع الأوائل ، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرُّواة"[1].

وكذلك قوله في بعض معرض حديثه عن الطبقة السابعة : "أربعة رهط محكمون مقلّون وفي أشعارهم قِلَة فذاك الذي أخَّرهم"[2].

وكذلك مقياس تعدد الأغراض الذي يتضح أثره بصورة جلية في مواضع عديدة من طبقاته ، من ذلك مثلاً : ما نراه في تبريره وضع كثير عزة في الطبقة الثانية من الفحول الإسلاميين ، وجميل بن معمر في الطبقة السادسة ، مع أن جميلاً مقدَّم في النسيب على كثير وعلى أصحاب النسيب جميعاً ، قال ابن سلام : " وكان لكثير في التشيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه – وعلى أصحاب النسيب جميعاً – في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقوّل ، ولم يكن عاشقاً ، وكان راوية جميل"[3].

ولا يخفى على الدارس أن الكثرة وتعدد الأغراض لا يمكن بحال الاعتماد عليهما كمقياسين نقديين لدرس الشعر وتقويمه ، وأن ابن سلام نفسه كان قد أشار – في مقدمته : إلى قضية الانتحال والوضع في الشعر ، وأن الرواة لعبوا دوراً خطيراً في الإقلال من شعر شاعر والإكثار من شعر غيره ... لذلك أرى أن أهمية هذين المقياسين تنبع من ارتباطهما بمقياس الجودة ، فالشاعر المكثر المجيد مقدّم – عند ابن سلام – على الشاعر المقلّ المجيد ، والمكثر المجيد المتعدد الأغراض مقدم على المكثر المجيد الذي لم يقل إلا في غرض أو اثنين ، أما لكثرة الشعر وتنوع أغراضه فإنهما لا يجعلان الموصوف بهما مقدماً إذا

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 137 .

2() المصدر نفسه ، ص 155.

3()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 555.

كان شعره رديئاً . لذلك نرى ضرورة التعرف على كيفية حكم ابن سلام على الشعر بالجودة، وما هي أسس تلك الجودة حيث يقول مثلاً: "كان قراد بن حنش من شعراء عطفان، وكان قليل الشعر جيده"[1].

ويقول في حسان بن ثابت : " وهو كثير الشعر جيِّده"[2]. أو يقول: "وكان الأسود شاعراً فحلاً ، وكان بكثر التنقُّل في العرب يجاورهم ، فيذم ويحمد ، وله في ذلك أشعار ، وله واحدة رائعة طويلة ؛ لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدَّمناه على مرتبته"[3].إذن نقول ما هي المقاييس التي استند إليها ابن سلام وهو يصدر الحكم بالجودة فيقدم شاعراً على آخر ، أو يقرن شاعراً بآخر ؟

لم ينكر ابن سلام جهود السابقين ونظرتهم للشعر والشعراء ؛ بل يكاد الاعتماد على آراء أهل العلم والخبرة أن يكون أهم مقاييس الجودة عنده ، هذا ما يقرره ابن سلام في مقدمة كتابه حيث يقول: "واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء"[4]. وكذلك حيث يقول: "ثم إنَّا اقتصرنا- بعد الفحص والنظر والرواية عمَّن مضي من أهل العلم – إلى رهط أربعة اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد – وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ، ونسمِّي الأربعة . ونذكر الحجَّة لكل واحد منهم"[5]. فهو غالباً ما يستقصى آراء العلماء في منزلة شعراء طبقاته ، وأحياناً يناقش تلك الآراء ويبيَّن رأيه فيها.

وأمثلة ذلك كثيرة متنوعة ، منها قوله في النابغة الجعدي : "كان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف".[6]

وقوله كان علماؤنا يقولون : "إحسن الجاهلية تشبيهاً أمرؤ القيس ، وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمة"[7].

ومما تجدر ملاحظته في هذا الموضع أن عدم تعقيب ابن سلام على بعض ما يورده من آراء العلماء ، إنَّما يعني موافقته على تلك الآراء ، أو فلنقل عدم تحفظه عليها ، وإلا لما وجدناه يخالف ما لا يروقه من تلك الآراء في مثل قوله: "وكان كثير

1() المصدر نفسه ، ص 733.
2() المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 215.
3() المصدر نفسه ، ص 147.
4() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 24.
5() المصدر نفسه ، ص 46-50.
6() المصدر نفسه ، ص 25.
7() المصدر نفسه ، ص 549.

شاعر أهل الحجاز ، وإنهم ليقدمونه على بعض من قدَّمناه عليه"[1] ، وكذلك قوله في رؤية بن العجاج : "وقال بعضهم: أنه أفصح من أبيه.

ولا أحسب ذلك حقاً" ، ومثل هذه الآراء على قلتها تدلل على إعمال ابن سلام فكرة وتقليبه الرأي قبل أن يعتد به ويعتمده[2].

- إن السبق والإبداع مقياس هام من مقاييس الحكم بالجودة عند ابن سلام ، حيث رأيناه يبرر تقديم أمرئ القيس على فحول شعراء الجاهلية بقوله: "ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعه فيها الشعراء"[3].

كما نراه يبرر وضع الراعي النميري في طبقة فحول الشعراء الإسلاميين الأولى بقوله: "وكان يقال له في شعره: كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ! أي لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه"[4].

وللمقاييس الفنية العامة أثر واضح في حكم ابن سلام على الشعر بالجودة ، وهي كثيرة متنوعة تتصل بلفظ الشعر ؛ أو بلغته ؛ أو معانيه وصوره ... ، وهي في معظمها عامة تحتاج إلى توضيح وتحديد. ففي مفاضلته بين بيتي شعر لجرير وآخر للأخطل ، نجده يقول : "قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء : أي البيتين عندك أجود ؟ قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

أم قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم النَّاس أحلاماً إذا قدروا

فقلت بيت جرير أحلى وأسير ، وبيت الأخطل أجذل وأرزن"[5] ، هكذا نجده يصف بيت جرير بأنه أحلى ، "ولا ندرى معايير هذا الوصف ، أو متى يكون الشعر حلواً ؟!".

1() المصدر نفسه ، ص 540.

2() محمد علي أبو حمدة ، محمد بن سلام الجمحي وكتاب "طبقات فحول الشعراء " ، ط 1998م ، دار البشير ، عمان ، ص 47.

3()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 55.

4()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 2- 5 .

5() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 49.

ومثله وصف عبد بني الحسحاس بأنه " حلو الشعر ، رقيق حواشي الكلام"[6]. وكذلك وصف القطامي بأنه : "رقيق الحواشي" ، حلو الشعر "[7]، حيث لا نستطيع أن نحدد معايير رقة الحواشي ولا ماهيتها. ومع ذلك فإننا لا نعدم وجود بعض المعايير المحددة الدلالة ؛ مثل جزالة اللفظ ؛ وشرف المعني وفخامته.

والغرض الشعري وسبل معالجته واستقصائه من الأمور التي أخذها ابن سلام في حسبانه يصنف الشعراء ، ويحكم على شعرهم بالجودة ، من ذلك – مثلاً – قوله في المديح في شعر كثير: "ورأيتُ ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جداً ، يقول: كان يستقصى المديح"[3]. ومثله براعة التشبيه الذي نراه أحياناً أساساً للمفاضلة بين الشعراء ، من ذلك مثلاً – قوله: " كان امرؤ القيس أحسن أهل طبقته تشبيهاً ، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة"[4].

بقى أن نقول اعتمد ابن سلام إلى جانب مقاييسه الثلاثة التي بني عليها طبقاته مقاييس أخرى بالغة الأثر في بناء بعض طبقاته ؛ منها:

أ- البيئة : المكان وأثره في الشعر والشعراء هو أحد المقاييس التي راعاها ابن سلام في أثناء تصنيف طبقاته ، حيث نجده يخص شعراء القرى العربية بطبقة مستقلة ، ثم يفاضل بين تلك القرى وأثرها في غزارة الإنتاج فيقول: " وهي خمس: المدينة ، ومكة ،والطائف ، واليمامة ، والبحرين. وأشهرهن قرية المدينة"[5]، وفي موضع آخر نجده يتحدث عن أثر المكان في تشكيل سمات الشعر- خاصة اللغوية - حيث يقول في: سحيم بن وثيل الرَّياحي : "وكان الغالب عليه البداء والخشنة"[6] ، فخشونة شعره وثيل مردها البادية ، أما عدي بن زيد فقد اختلفت سمات شعره باختلاف بيئته ، حيث " كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ، فلان لسانه وسهل منطقه".

ب- العقيدة : استند ابن سلام إلى العقيدة الدينية حيث أفرد لشعراء اليهود طبقة مستقلة اشتملت على ثمانية منهم. ويلاحظ أنه لم يعن بتحديد مكانة أي منهم ، سواء منزلته بين شعراء طبقته ، أو منزلة

6() المصدر نفسه ، ص 187.

7() المصدر نفسه ،ج 2 ، ص 535.

3()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 540-642.

4() المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 55.

5() المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 25.

6() المصدر نفسه ، ص 575-577.

طبقته بين الطبقات : كذلك لم يتعرض إلى أثر العقيدة الدينية في شعرهم ومعانيهم.
ج- الأخلاق: كذلك اتضح أثر المعيار الأخلاقي في حديث ابن سلام عن سمات شعر بعض فحول الجاهلية كأمرئ القيس والأعشى ، حيث يقول: "فكان من الشعر من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ، ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء ، ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهّد. منهم امرؤ القيس ... ، ومنهم الأعشى"[1].

وكذلك في موازنته بين الفرزدق وجرير ، حيث يقرن الفرزدق بامرئ القيس والأعشى ويميز جريراً عنهم فيقول: "وكان جرير مع إفراطه في الهجاء يعف عن ذكر النساء ، كان لا يشبب إلا بامرأة يمتلكها"[2].
د- التشابه : وضع ابن سلام هذا المقياس في حسبانه وهو يشرع في تصنيف طبقاته فقال في مقدمة كتابه : "فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين"[3]. وقد لاحظنا أثر هذا المعيار في معظم طبقاته إضافة إلى ما تجلّي في موازناته بين بعض شعراء الغرض الواحد من طبقات مختلفة من ذلك ما يلاحظ في موازنته بين جميل معمر وكثير عزة في فن النسيب ، وبين جرير والفرزدق في فن النقائض ... وغيرهم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل رأيناه يفرد طبقة لمن برزوا في غرض واحد من أغراض الشعر ، وهي طبقة أصحاب المراثي. وهنا نلاحظ اكتفاء ابن سلام بذكر بعض شعراء المراثي ونسبهم وبعض أخبارهم ونتفأ من أشعارهم ، مع أن الاتفاق في الغرض كان يتطلب من ابن سلام الموازنة بين معانيهم وخصائص شعرهم ، ثم المفاضلة بينهم. ومن قبيل التشابه أيضاً ؛ ما نراه في تخصيص الطبقة التاسعة من طبقات فحول الإسلام للحديث عن أربعة من الرُّجَّاز. وقد حاول ابن سلام الموازنة بين شعراء هذه الطبقة ، فأورد بعض آراء العلماء في الموازنة بين بعض سمات رجزهم ، فقل أبو عمرو بن العلاء : كان أبو النجم أبلغ في النَّعت من العجاج"[4].
هـ- النسب : قد لا يكون لصلة القربى كبير تأثير في الجمع بين رؤية والعجاج ، ولكنها واضحة التأثير في حديث ابن سلام عن شعراء الطبقة الثانية من فحول الجاهليين حيث نراه يستذكر

1() المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 41- 42.
2() المصدر نفسه ، ص 46.
3() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 24 .
4() المصدر نفسه ، ص 753 - 761.

زهير بن أبي سلمي في أثناء حديثه عن ابنه كعب ، كما يستذكر بعض شعراء بجير ، واستناداً إلى مقياس التشابه نجده يقرن ذكر جرير وذريته بذكره لزهير ، فيقول: " ولم يزل في ولد زهير شعر ، ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، ولا في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير"[1].

ثالثاً: مؤهلات الناقد :

أكد ابن سلام في غير موضع من طبقاته على ضرورة التخصص ، وأقام الحجة على من أنكر ذلك بأكثر من طريقة ، من ذلك مقولة خلف الأحمر لمن انكر أهمية التخصص : "وقال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر استحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك. قال: إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال : لك الصراف إنه رديء ! فهل ينفعك استحسانك إياه؟ "[2].

وكذلك إشارته إلى الأخطاء التي تصدر عن غير المختصين الذين يتصدون للشعر وروايته في مثل قوله: "وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر ، ولا يضبط الشعر إلا أهله". وذكر الشروط الواجب توافرها في الناقد فشدد على أهمية الذوق والاستعداد الفطري ، وبين أثر الدّريه والممارسة في العملية النقدية فقال: " وللشعر صناعة وثقافة كسائر أصناف الصناعات منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا بوزن ، دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدّينار والدرهم ، لا تعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراز ولا وسيم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة".

إن العلم بالشِّعر وضوابطه الفنية على أهميته عند بن سلام لا يغني بدأ عن الذوق تلك الخاصية الجوهرية التي لا تتسنى للناقد بالتلقين أو التعليم ، وإنما تكتسب بطول المران والممارسة العلمية ، والتي يستند إليها الناقد المتمرس في تمييز مستويات الجودة ، التي لا يخضع لضابط فني معين دقيق يعين على شرح أسبابها ، من ذلك ما نراه في أمثلة ابن سلام التي نورد منها قوله: "وكذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال: ناصعة اللون جيِّدة الشَّطب ، نقيَّة الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيِّدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر فتكون في هذه الصفة بمئة دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، ولا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة .. ويقال للرجل والمرأة في

1() محمد بن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء ، ج 2، ج 1 ، ص 110.

2() المصدر نفسه ، ص 7.

القراءة والغناء : إنه لندى الحلق طل الصوت، طويل النَّفس ، مصيب للحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علم يوقف عليه وإن كثرة المدارسة لتعدي على العلم به . فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به"[1].

نجد أن حديث ابن سلام السابق عن أهمية الذوق في إتمام العملية النقدية والوصول بها إلى منتهاها لا يحجب أهمية الثقافة التي ينبغي أن يتسلح بها الناقد ، كما أنه لا يعفي من التأكيد على أهمية التجربة والممارسة. وإن عدم توسع ابن سلام في الحديث عن صنوف الثقافة التي يحتاج إليها الناقد عندما سرده علم ذوي الاختصاص بتلك الصنوف "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم .." وكذلك الحال بالنسبة للتجربة والممارسة[2].

وهكذا فإن الذوق الذي يتمثل عند ابن سلام – كما رأيناه في الأمثلة السابقة- في المقدرة الفائقة على ممارسة العملية النقدية والتمييز بين أدق الخصائص الفنية ، إنما يقوم على ثقافة خاصة ، واستعداد فطري ، وينمو ويتطور بكثرة المران والممارسة التي هي في المحصلة النهائية إضافة نوعية لرصيد الناقد الثقافي ، وتنمية عملية لمهارته النقدية.

رابعاً: قضايا أخرى:

أثار ابن سلام العديد من القضايا الهامة التي تتصل باللغة العربية ولهجاتها والنحو العربي ونشأته وتطور مباحثه ، وكذلك الشِّعر العربي وأهميته ورحلة تطوره ؛ وأثر الإسلام فيه ، وأول من اهتم بجمعه وتدوينه ، وتطرق لعلم العروض وتفوقه في استنباط علله ، فهو في مجال اللغة والنحو العربي أول من أرخ لنشأة النحو حيث تحدث عن البصرة وسبقها في هذا المجال ؛ وذكر مبررات نشأة النحو والحاجة إليه ، وتتبع تطور مباحثه وجهود علماء العربية فقال: " وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو وبلغات العرب والغريب عناية. وكان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وانهج سبيلها ووضع قياسها : أبو الأسود الدُّولي فكان سراة الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف وحروف الجر والرفع والنَّصب والجزم ، وكان ممن أخذ عنه يحي بن يعمر.."[3].

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 6 – 7 .

2() ينظر: د.نجوى محمود صابر ، النقد الأدبي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2008م ، ص 55.

3() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 12-13.

وفي أثناء تمثيله لبعض الأخطاء التي وقع فيها سراة القوم وفيهم الأدباء والشعراء ، حرص ابن سلام على تتبع مجهودات علماء العربية والإشارة إلى ما يميز كل منهم مثل قوله: "ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، وكان أوَّل من بعج النحو ، ومدَّ القياس والعلل. وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وبقي بعده بقاء طويلاً . وكان ابن أبي إسحاق أشدَّ تجريداً للقياس ، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها"[1].

أما في مجال الشعر فقد تحدث ابن سلام عن نشأة الشعر العربي وكيف بدأ بأبيات يقولها الرَّجل في حاجته ؛ وكيف تطور شكل القصيدة في عصر عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ؛ حيث قصدت القصائد وطوِّل الشعر ، ثم يرى ابن سلام أن "أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل – قتله بنو شيبان – وكان اسم المهلهل عديًّا ، وإنما سُميَّ مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه ، ومن ذلك قول النابغة:

أتاك بقول مهلهل النَّسج كاذب * * ولم يأت بالحق الذي هو ناصع[2].

ورغم موافقة كثير من المتقدمين لرأي ابن سلام هذا ؛ إلا أننا لا ننكر وجاهة رأي محمود شاكر محقق كتاب الطبقات ؛ الذي يقول : "هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين. وهو عندي باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله اعتق مما يتوهم. ولينه قال هنا ما قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة، أن قدمهما كان السبب في قلة ما روى عنهما. فإذا صح ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما"[3].

حيث نجد من القدماء من يزعم أن لأخوة الآودي هو أول من قصد القصيدة، أو أنه ابن حزام. وقد حدد ابن سلام القوم والبيئة التي نشأ فيها الشعر العربي وازدهر ، فذكر أن بدايته كانت في ربيعة ثم تحول إلى قيس ثم إلي تميم ولم يزل فيهم[4].

أما وعيه بأثر البيئة على الشعر والشعراء فجعله يصرح بأن البيئات ليست سواء في إنتاج الشعر ، وأن سهولة شعر عديٍ بن زيد ترجع لاستقراره في بيئة ريفية كما أن خشونة شعر سحيم بن وثيل الرياصي مرجعها سكناه البادية.

1() المصدر نفسه ، ص 14.
2() المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 39.
3()المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 26.
4()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 27 .

أما الظروف الاجتماعية والسياسية فلها دور بارز في إنتاج الشعر ، إذ يرى ابن سلام أن الشعر يكثر في الحروب ، ويدلل على ذلك بحرب الأوس والخزرج وكثرة ما قيل فيها من شعر ، أما قريش فإن سبب قلة شعرها أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف[1].

كتاب الطبقات في رأي بعض النقاد المحدثين:

تعرض بعض النقاد المحدثين لكتاب فحول الشّعراء لمحمد بن سلام وأصدروا فيه آراءهم النقدية ، بالإضافة إلى تحليل موجز للكتاب وما قام به ابن سلام ، وهم وإن اتفقوا في العرض الموجز والتحليل الضيق الذي يعرض الكتاب حسب الخطوط الكبرى للعمل الذي اتخذه ابن سلام منهجاً ، إلا أن لبعضهم آراءه الخاصة وعلى أساسها نقد الكتاب وبني تقويمه له.

يقول الدكتور محمد مندور: " لقد فطن ابن سلام بذوقه الأدبي إلى أن هؤلاء الشّعراء (يعني شعراء المراثي) ليس كغيرهم ممن صدّروا عن فن واحد ؛ بل هم إنسانيون قال الشّعر لشفاء نفوسهم مما تجد ، فلم تأت مراثيهم مدحاً للميت فحسب ؛ بل عبارة عن ألمهم هم لفقد ذويهم ، حتى أن المدح نفسه ليلونه الأسي ، ولذلك أفردهم فيما نظن بباب خاص وإن لم يذكر السَّبب ، ثم أنه لم يكتفِ بهذا ؛ بل فاضل بينهم كما فاضل بين شعراء القرى فقال : (والمفضل عندنا متمم بن نويره)[2] "

ويرى الدكتور محمد مندور أن اتخاذ الزّمان والمكان أساسين لمحاولته وضع تاريخ للشّعر العربي قد أملته طبائع الأشياء واعتبرها مندور إطارين كبيرين أدخل فيهما ابن سلام تقسيمه على أساس من النقد الأدبي[3].

وفي الحقيقة أن نظرة الدكتور محمد مندور نظرة صائبة ، فشعراء الرثاء يمتاز فنهم بصدق العاطفة ، ونبل الأحاسيس ، وهو شعر خلقته ظروف نفسية خاصة ، وشعور نبيل قبل كل شيء ، ولذلك أفردهم ابن سلام في طبقة مستقلة وهي نظرة نقدية جديرة بالاهتمام.

وإذا كانت طبائع الأشياء قد أملت على ابن سلام اتخاذ الزّمان والمكان – إطارين كبيرين قائمين على أسس لمحاورة التاريخ للشّعر على أساس من النقد فإن هذه الأشياء التي أملت طبيعة هذا التقسيم ؛ إنما هي أشياء نقدية صرفة ، وأن التاريخ قد جاء لخدمة النقد في هذا المجال.

1() المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 26 – 27 .

2() محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة : 1948م ، ص 12.

3() محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، ص 12.

ولم يرق للدكتور محمد مندور منهج ابن سلام في نقد الشّعراء ، يقول: (ثم إننا نلاحظ أنه يورد ما يختاره للشّعراء المختلفين أو يورد مطالعه ، ولكنه لا يحلله ولا ينقده ولا يظهر ما فيه من جمال أو قبح ، وإن حكمه على بعض القصائد أو بعض الشّعراء ، فأحكامه في الغالب هي الأحكام التقليدية التي كانت الألسن تتداولها عن السابقين ، حسان بن ثابت يقول: "أشعر النّاس حيا هذيل" وهكذا) [1].

إن عمل ابن سلام أملته عليه طبيعة التأليف ، فالكتاب يعد من أوائل الكتب التي ألفت في النقد الأدبي ، والعصر الذي ألف فيه كان عصر العلماء الذين ينشرون علومهم بين النّاس في المجالس والحلقات فكان الناس بذلك على معرفة ودراية بأحوال الشّعراء ولذلك جاء عمل ابن سلام هذا عملاً مجملاً دون تعليل.

ويستنتج الدكتور محمد مندور من عمل ابن سلام أنه : "لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام شيئاً كبيراً"[2].

وظُلم أن نطلب من العالم الكبير ابن سلام وهو من الرواد أن يحلل ويفصل ويصل إلى مستوى النقد الذي تطور بعده حتى عصرنا الحاضر ، وإن نطلب في كتابه ما حققه الجاحظ والآمدي والجرجاني وما بعدهم ؛ فكتاب ابن سلام إنما يمثل طفولة تأليف مراحلها الأولى نمت وترعرت فيما بعد ، فليس من العدل أن نطلب فيه ما تحقق بعد نمو النقد الأدبي وتقدمه ، لأن النقد تطور فيما بعد ، وجل هؤلاء النقاد اعتمدوا في كثير من آراءهم النقدية على آراء ابن سلام.

يقول الدكتور طه أحمد إبراهيم: إن ابن سلام يعتبر: "أول من نظم البحث في هذه الأفكار وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها أحكام وحقائق أدبية في كتاب طبقات الشّعراء .. شارك ابن سلام معاصريه في كثير من الأفكار ولكنه محصها وحققها وأضاف إليها وصبغها بصبغة البحث العلمي وسلكها في كتاب خاص هو خلاصة ما قيل إلى عهده في أشعار الجاهلية والإسلام ، فالفرق بينه وبين من عاصره كثير ، لأنه زاد على ما قالوا في النقد الفني وفي النظرات في الأدب ، وكثير على الأخص لأنه أودع كل المعارف في النقد كتاباً لعله أسبق الكتب في ذلك. أودعها على طريقة العلماء وفي عُرف منطقي

1() المصدر نفسه ، ص 19.

2()المصدر نفسه ، ص 19.

قويم فهو بذلك من الذين أفسحوا ميادين النقد وهو بذلك أول المؤلفين فيه"[1].

وهذا اعترف من الأستاذ طه إبراهيم بما قدمه ابن سلام من خدمة النقد الأدبي سبق إليها غيره ، فنقد ابن سلام وأن ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأفكار معاصريه في ميدان النقد الأدبي إلا أنه محصها وحققها وأضاف إليها وصبغها بصبغة البحث العلمي فزاد على ما قال معاصروه وأودع تلك المعارف في كتاب كان من أسبق الكتب في النقد الأدبي.

ولعل هذا الاعتراف بفضل ابن سلام قد جعل الدكتور طه إبراهيم يحكم بموضوعية على كتاب ابن سلام بأنه يظل: "من أهم ما كتب في النقد الأدبي عند العرب ويظل ابن سلام من أجلاء النقاد صحة وذهناً ونفاد بصر بما بسط من القول وأوضح من الدلائل وبين من العلل ، فقد وصل إلى ما وصله الأدباء واللغويون فتناوله تناولاً حسناً وزاد عليه زيادات قيمة ، ففي كتابه صورة لحياة النقد منذ النشأة في الجاهلية إلى أواخر القرن الثالث الهجري. وصورة للأذواق المختلفة والأذهان التي خاضت فيه ، ولقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط ثم جاء ابن سلام فضم أشتاتها ، وألف بين المتشابه منها بروح علمي قوي ، ثم أن الأصول التي عرفت قبله في النقد لم توطد ولم تؤكد ولم تستقر ولم ترسخ إلا في كتابه طبقات فحول الشَّعراء"[2].

وشبيه بموقف طه إبراهيم ، ما بينه الدكتور بدوي طبانه موضحاً أهمية كتاب ابن سلام وكونه رائداً في مجال المنهج العلمي .

يقول: "للمرة الأولى نجد كتاباً وافياً في الشّعر العربي يسلك صاحبه في تأليفه منهجاً علمياً ولا شك أن محاولة تقسيم الأدباء والشّعراء إلى مجموعات وطوائف بحسب تفاوتهم في كثرة الإنتاج أو في جودته أو في قدرتهم على التصرف في فنون الشّعر ، تعد من فنون الدراسات النقدية. ومن أهم الأغراض التي يطلب إلى النقاد أن يقدموا آراءهم فيها إلى جهود المشتغلين بالمسائل الأدبية وذلك ما فعله ابن سلام الذي حقق كثيراً من غايته في تقسيم أولئك الشّعراء"[3].

1() طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عن العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، 2004م ، ص 75.

2() طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 88.

3() بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1965م ، ص 146.

وقد أشار الدكتور بدوي طبانه إلى ناحية هامة جداً ، تستحق الإظهار والبيان فقد ذكر: "أن الصناعة التي أطلقها ابن سلام على الشّعر قد سمت بها اليونان الشّعر أيضاً صناعة ، فالشّعر عندهم صناعة والشّاعر صانع"[1].

وقد استنتج الدكتور بدوي طبانه – تبعاً لذلك : "أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة. فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التي بها فيما بعد ممن كتبوا في نقد الأبد كالآمدي وأبي الفرج. وحسب كتاب ابن سلام أن – يكون جماع القول في الشّعر العربي في الجاهلية والإسلام"[2].

ولقد حاول الدكتور إحسان عباس أن يوضح أن ابن سلام كان أول من نص على استقلال النقد الأدبي ، وبني حكمه هذا على ما قام به ابن سلام من جهود في ذلك لعل أوضحها أفراده الناقد بدور خاص ، يقول: " كان ابن سلام من أول – من نص على استقلال النقد الأدبي ، فأفرد بدور خاص حين جعل للشّعر أي لنقده والحكم عليه – صناعة يتقنها أهل العلم بها مثلما أن ناقد الدراهم والدينار يعرض صحيحها من زائفها بالمعاينة والنظر"[3].

ولعل إشارة الدكتور إحسان عباس تعتبر دقة في الوضوح إذ أظهرت ناحية هامة عند ابن سلام وهي استقلال النقد الأدبي كفن له مكانته العلمية.

وقد شارك الدكتور محمد زغلول كلا من طه إبراهيم وبدوي طبانه آراءهم في أهمية كتاب الطبقات. فتراه يقول: " ويعتبر كتاب الطبقات من أقدم الدراسات إن لم يكن أقدمها جميعاً. التي ألفت في النقد وسارت على منهج معين واضح ويبدأ بمقدمة طويلة يعرض فيها مقاييس النقد المختلفة في عره ، كما بين اتجاهه في نقد الشّعر وفي تصنيف كتابه ، وترتيب طبقاته ، ويبدأ القول في الشّعر العربي القديم محاولاً عرضه على بساط النقد ، جاعلاً ذلك مدخلاً للبحث عن الشّعراء"[4].

ويقول : "كذلك ندين له بالفضل في محاولته بناء النقد على الذوق إلى جانب المقاييس التي عرضها ، ونبه إلى ذلك في

1() بدوي طبانة ، البيـان العربـي ، مطبعـة العـود ، بيـروت : 1972م ، ص 116.

2() بدوي طبانه ، دراسات في نقد الأدب العربي ، ص 158.

3() إحسان عباس ، تاريخ النقد عند العرب من القرن الثاني حتى الثـامن ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان : 1997م ، ص 78 .

4() محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد العربي إلـى القـرن الرابـع الهجـري ، دار المعارف ، 1964م ، ص 98.

مقدمته ومع ذلك فلا نعدم له نظرات فنية لا تعتمد على مجرد النقل عن السابقين ، فهو مثلاً يعرض للناحية الموسيقية في الشّعر وكيف أن الشّعراء الفحول كان يقوى شعره كالنابغة"[1].

إن إشارة الدكتور محمد زغلول إلى ما قام به ابن سلام من جهد مستقل عن آراء سابقيه والنقل عنهم تبين فضل ابن سلام في ذلك.

ولعل مناقشة ابن سلام للناحية الموسيقية في الشّعر كانت أوضحها على الرغم من أنها مما نقله ابن سلام – خبراً – عن سابقيه.

وموقف الدكتور محمد مندور الذي بين فيه أن ابن سلام لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام شيئاً كبيراً[2]. لم يعجب الدكتور محمد زغلول ، فنراه يقول: "ونحن إذا ما نظرنا لابن سلام في إطار عصره لا ننقصه حقه ، ولا نطالبه بأكثر مما فعل كما حاول الدكتور مندور أن نطلب منه أن يتقدم بالنقد الفني ، ترى على من يتقدم وهو أول ما نعرف ممن حاول دراسة الشّعر والشّعراء هذه الدراسة المنهجية في النقد العربي ، ومع ذلك ومع كل ما حوي الكتاب من مآخذ فإن الكتاب قد وضع اللبنات الأولى للنقد المنهجي المبني على أسس علمية[3]. وهذا موقف صريح وعادل".

وقد بينت الدكتورة سهير القلماوي أن نقد ابن سلام وإن لم يكن من صنعه هو فقد صبغ بتفكيره الخاص ، وهو ما ذهب إليه الأستاذ طه إبراهيم[4]. حيث تقول: " وغني عن البيان أن كتاب ابن سلام حافل بأحكام نقدية ؛ بل نظرية على الأقل ولا أقول من صنعه هو ، ولكنها صبغت بتفكيره الخاص"[5].

يقول الدكتور مصطفى مندور مشيراً إلى سلامة نقد ابن سلام من المعارف اليونانية ومعاييرها الفنية والنقدية والتي كانت شائعة في عصره. فقد بني الدكتور مصطفى أن ابن سلام قد احتفظ بطابع الذوق العربي في تناول النصوص. وهذا مما يعطي الكتاب أهمية خاصة. يقول الدكتور مصطفى مندور: "لقد استطاع ابن سلام أن يحتفظ بطابع الذوق العربي في تناول النصوص ، ولم يخضعها لما كان شائعاً من المعارف اليونانية

1() المصدر نفسه ، ص 108.

2() محمد مندور ، النقد المنهجي ، ص 20

3() محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي عن العرب ، ص 107 - 108.

4() طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 88.

5() سهير القلماوي ، النقد الأدبي ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر 1959م ، ص 19.

ومعاييرها الفنية والنقدية ، ومن هنا تزداد أهمية الكتاب لأنه يمثل الذوق الأدبي عند العرب وما فيه من عناية بالنصوص وتذوقها ، ولقد كان ابن سلام يؤمن أن كثرة المدارسة لتعدي على العلم ، ومن هاتين القيمتين، المثابرة والثقافة ، ثم طول الممارسة والدراسة تتحد الطرق لمعرفة الشّعر ونقده"[1].

كما بين الدكتور مصطفى مندور أن كتاب الطبقات يمثل صدراً ضخماً من معارفنا الأدبية والنقدية المتعلقة بتقديمنا ، وسما الكتاب إلى قمته بفضل عاملين واضحين:

أولهما: قيمته الفنية.

ثانيهما: أنه يمثل سبلاً للأخبار الأدبية[2].

ومن الأمور الهامة التي تجدر الإشارة إليها أيضاً سبق ابن سلام للأوربيين وبيانه أن المدارسة تعدي على العلم بالشيء ، وهو ما ذكره الدكتور محمد مندور حيث يقول: "قال ابن سلام: أن كثرة المدارسة لتعدي على العلم وهذا الكلام الذي قاله ابن سلام منذ قرون هو آخر ما انتهي إليه الأوربيون في حقيقة النقد الأدبي"[3].

1() مصطفى مندور ، (مقالة في مجلة تـراث الإنسـانية – المجلـد الأول) ، مصر ، سنة : 1964م ، ص 666.

2() المصدر نفسه ، ص 656.

3() محمد مندور ، في الميزان الجديد ، مصر- القاهرة ،ط 1 ، دار النهضة : 1988م ، ص 163.

الفصـــل الثالث
الدراســـة التطبيقيـــة

- أسس المفاضلة.

1-الجودة والكثرة .

- الجودة وتجلياتها في طبقات فحول الشّعراء.

1- مظهر الجودة عند الشّعراء الجاهليين .

2- مظهر الجودة عند الشّعراء الإسلاميين.

المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشّعراء (أسس المفاضلة):

تتبع المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشّعراء ، من حيث إطارها العام من خلال معيارين عن أساسين هما : الفحولة والتشابه . أما الفحولة فهي الأساس الأول الذي أقام ابن سلام عليه تمييز الشّعراء ، وتصنيفهم في طبقاته ، ويخلص إحسان عباس أن ابن سلام وسع من حدود فكرة الأصمعي ، وأعاد صياغتها ، فنجد الأصمعي يقسم الشّعراء إلى فحول وغير فحول فجاء ابن سلام ، وأقر في أنهم فحول إلا أن هذه الأخيرة تتفاوت. وأن التشابه فهو الأساس العام الثاني الذي اعتمده ابن سلام في تصنيف الشّعراء ، وهذا الأساس اعتمده في كل طبقة على حدة ، غير أنه لم يوضح معايير التشابه توضيحاً صريحاً ، إلا في بعض الطبقات،[1] ولعل أبرز تلك المعايير ، والمقاييس التي أقام على أساسها اختيار الشّعراء والمفاضلة بينهم هي:

- الجودة
- الكثرة .
- تعدد الأغراض والقدرة على التصرف في فنون الشّعر.
- الجزالة .
- سيرورة الشّعر .
- طول القصائد.
- القريحة.
- الاحتجاج بآراء العلماء .

ولعل المعايير الأولى الثلاثة هي التي ركز عليها ابن سلام في المفاضلة بين الشّعراء وتقسيمهم إلى طبقات إلا أنني سأحاول تسليط الضوء علي معيار الجودة لأنه يعتبر موضوع البحث.

الكثرة والجودة :

يعتبر ابن سلام الجودة من أهم المعايير النقدية في كتابة طبقات الفحول ، إذ جعله المعيار الأول لتقديم شاعر ، وتفضيله ، فقد جعل الجودة أساساً لتقديم الشاعر وتفضيله ، فقد جعلها سبباً في تقديم الشاعر علي غيره في طبقته ، أو إيراده ضمن الشّعراء ، أو إهماله فابن سلام لا يعدد (المهلهل) في طبقات على الرغم من أنه قد سبق الشّعراء الفحول إلي تقصيد القصائد

1() ينظر :إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشّعر مـن القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ص 68.

، وذكر الوقائع ، حيث يقول عنه : "وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتله بنو شيبان ،وكان اسم المهلهل عدياً ، وإنما سمي المهلهل لهلهلة شعره كهلهة الثوب ، واضطرابه واختلافه"[1].

ومن هنا نرى اهتمام ابن سلام بجودة الشاعر لكي يورد صاحبه في الكتاب ضمن الطبقات الفاصلة فهو يبين أن المهلهل شاعرٌ وهو مقدم ، وقد سبق الشّعراء إلى تقصيد القصائد ، إلا إن اضطراب شعره واختلافه كان سبباً لإهماله، فلو كان ابن سلام يورد كل شاعر من الفحول المتقدمين لأنه شاعر فقط لأورد المهلهل ، ولكن إخضاع الشّعراء لمقاييس واضحة جعلته يهمله.

وكان ابن سلام دقيقاً في ذكر الأمثلة والتنبيه إلى قيمة الجودة للشاعر حتى يكون ذلك الشّعر الجيد في مرتبة لا يصل إليها شعر مفتعل ، منحول، ملحق بغير صاحبه فاهتمام ابن سلام بمعيار الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له أثر واضحاً في التفضيل أو التأخير أو التقديم لوضع الشعراء داخل الطبقات.

ومن الشّعراء داخل الطبقة الواحدة بمقياس الجودة هو الذي قدم "علقمة الفحل" إلى الطبقة الرابعة فله ثلاث روائع جياد لولاهن لتأخر عن هذه الطبقة ، إذ ليس له جياد غيرها ، وإلا لتقدم إلي طبقة أفضل. هذه القصائد لا شيء بعدهن يذكر"[2].

وهو المقياس الذي جعله يضع عبيد بن الأبرص في الطبقة الرابعة ، مع أنه لا يعرف له من الشّعر إلا واحدة ، ومن هذا يتضح أن ابن سلام يجعل الجودة المقياس الأول المقدم لديه وإن ربطها بالكثرة فهو كثيراً ما يجمع بين الكثرة والجودة ، ولا يفصل بينهما ، ما يدل على أنه لا يريد كثرة فقط ، وإنما كثرة جيدة، ورد هذا المعيار معبراً عن ابن سلام.

فالأعشى مقدم على أصحابه "لأنه أكثرهم طويلة جيدة"[3]. فهو يجمع بين الكثرة وطول القصائد وجودتها يقول ابن سلام عن شعراء الطبقة الرابعة من الجاهلين: "وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم على أيدي الرواة"[4].

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 39.
2() المصدر نفسه ، ص 139.
3() محمد بن سلام الجمعي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 65 .
4() المصدر نفسه ، ص 137.

فقلة الشّعر أدت دوراً كبيراً في تأخير هذه الطبقة علي الرغم من اعتراف ابن سلام أن موضعهم مع الأوائل. ويقول عن "طرفة بن العبد": "فأما طرفة فأشعر الناس واحدة"[1]. ثم يقول : من بعد له قصائد حسان جياد فهو يشير إلى الكم والجودة ، فابن سلام يفضل الجيد الكثير على الجيد القليل ، وهذا لا يطعن في منهجه ، ولا يجعل التفضيل قائماً على الكثرة فقط ، بينما قدمت الجودة شعراً في جودة قصائدهم على الرغم من قلتهم يقول الرابعة: عمر بن شأس كثير الشّعر في الجاهلية أكثر اهل طبقته شعراء وكان ذا قدر وشرف ومنزلة في قومه"[2]. ومع ذلك قدم عليه شُعراء من طبقته مع أنه كان أكثرهم شعراً وجعله رابعهم. وهذا باختصار عن المعيار الذي اعتمده ابن سلام في تصنيف الشّعراء إلى طبقات وحكم على أشعارهم بجودة أو الرداءة فمعيار الجودة هو من أبرز المعايير والمقاييس ، بإضافة معياري الكثرة والتعدد في الأغراض الشّعرية ، "يقول الدكتور محمد مندور : "في صدر مناقشته لهذا المعيار : وأما عن تفضيله الكثرة على الجودة وتعدد الأغراض الشّعرية على التوفر على الفن الذي تجذبنا إليه ملابسات حياتنا ففي ظننا أنه من الواضح أن الكم ليس مقياساً صحيحاً لتقييم الشّعراء ، وإلى هذا فطن ابن قتيبة"[3].

الجودة وتجلياتها في طبقات فحول الشّعراء :

1-مظهر الجودة عند الشّعراء الجاهليين :

جعل ابن سلام "امرؤ القيس" أول الطبقة الأولى وبين الجيد من شعره وبالرغم من أن الناس أجمعوا على تقديمه إلا أن ابن سلام لا يترك هذا التقديم دون تعليل ، فيجعل الجودة هي السبب في تقديمه فيقول عنه "سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب"[4]. ومعروف لدينا أن الاستحسان قائم على الجودة ويقول عنه: " واجاد في التشبيه وكان أحسن أهل طبقته تشبيها"[5]. ويورد ما استحسنه الناس له من التشبيه :

كـــأن قلـوب الطيـر رطبـاً لدى وكرهـا العنـاب والحشـف
ويابســـــــــــــــاً البـــــــــــــــالي[6]

1() المصدر نفسه ، ص 137.
2() المصدر نفسه ، ص 196 .
3() د.محمد مندور ، النقدر المنهجي عند العرب (دار نهضة مصر ، القاهرة د.ت) ، ص 20.
4() محمد بن سلام ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 81- 86.
5() المصدر نفسه ، ص 81.
6() المصدر نفسه ، ص 81.

عدا هذا البيت من تشبيهات امرؤ القيس في وصف عقاب إذ شبه شيئين بشيئين في بيت واحد فكان اول شاعر يفعل ذلك .

وقوله :

"كـأني بفتخـاء* الجناحيـــن لقـــــــــــــــــــوة دفــوف من العقبـان طأطـأت شـــــــــــــملال"

وقوله:

بعجلـزة* قـد أتـــزر الجـري لحمهـــــــــــــــــــا كميت كأنها هراوة* منـــــوال

وصم حـوام* مـا يقيـن مــن الـــــــــــــــــوجي* كأن مكـان الـردف منهـا علـي رال*"[1]

ومن هنا نجد أن امرأ القيس قد أجاد في التشبيه حيث وصف الفرس وشبهها بالعقاب وهذا الليث جناحيها وسرعتها وخفتها ، أما البيت الثاني فقد شبهها بالمنوال الذي يتخذ عصاه من صلب الخشب وأملسه ، لذا فهو يصف فرسه بأنها صلبة ، شديدة ، ناعمة الإملاس ، في حين نجد في البيت الثالث يصف فرساً آخر ذكراً ، كأنه يركبه للغارة بأنه صلب الحوافر. ومن تشبيهات امرؤ القيس التي أجاد فيها كذلك :

له أيطـــلا ظبي وساقا نعامة تتفـــــــــــــــــــــل وإرخـــاء سرحـــــان وتقريـــب[2]

فقد شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، فجمع أربعة تشبيهات في هذا البيت ومن أجود التشبيهات التي أهلته ليكون في المطابقة الأول.

قوله:

دريرٍ كخذروف الوليـــد أمرّه تتـابع كفيـــــه بخيـط موصـل

1() المصدر نفسه ، ص 81-82.

الفتخاء : العقاب - * العجلزة : الفرس الصلبة الشديدة - *هراوة : العصي ،

حوامي: جمع حامية ، وحـوامي الفـرس حـوافره - الـوجي : مـا يصـيب باطن الحافر -*الرال : فرخ النعامة

2() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 81 .

وقوله:

كأن دماء الهاديات بنحـــــره عصارة حنـاء بشيب مرجـــل

وقوله:

وليـل كمـوج البحـــر أرخـي سـدوله على بأنـــواع الهمـوم ليبتلـي

فيا لك من ليـــل كأن نجومه جنـدل بـــإمراس كتـــان إلـــى صـــم[1]

فهذه الأبيات من جيد التشبيه عند امرئ القيس أورد غيرها كثيراً ثم يجعل الجودة أساس المفاضلة بين شعر امرؤ القيس وغيره ومن جديد تشبيهات امرؤ القيس تصويره للمرأة مشبها إياها بالنار :

نظـرت إليهـــا والنجـوم كأنهـا مصابيـح رهبان تشب لقفال[2]

وقوله كذلك :

كـأن الصـوار* إذ تجاهـدن* غـدوة علـى جمـزي ، خيـل تجـول بـأجلال*[3]

وعليه فإن ابن سلام كان يرى في امرئ القيس ، أنه أحسن أهل طبقته تشبيهاً ، ثم يورد لنا نماذج عديدة لكل التشبيهات دون تحليل أو تعليل.

بـذي ميعـةً ، كـأن أدنـي سـقاطه وتقريبـه ، هونـا ، دآليـل ثعلـب

1() المصدر نفسه ، ص 85-86-87.

2() المصدر نفسه ، ص 82.

3* الصوار : القطيع من الوحش - * تجاهدن: أسرعن في العدو مـن شـدة الخوف - * الإجلال : ما يوضع على متن الفرس.

() المصدر نفسه ، ص 83.

عظيم، طويل، مطمئـن، كـأنه بأسفل ذي مأوان ، سـرحه
يعـــــــالى بـــــــه مرقـــــــــــــب

له جؤجؤ* حُشـــر* ، كأنـــه فـــــي رأس جـــــذع
مشـــــــــــــــذب[1]

نتحدث عن المقدمة الطللّيّة عند امرؤ القيس ومظهر الجودة فيها ، وإن ابن سلام قد أطلق معيار الجودة واختار أشعار جيّاد ولكنه لم يظهر أين تكمن هذه الجودة ، فمن خلال تحليل المقدمة الطللّيّة عنده نوضح مظهر الجودة فيها ؛ والتي لا شك أن ابن سلام قد وقف عندها ولكنه لم يسجلها في كتابه ونحن لا نختلف معه في النماذج وجودتها ولكننا نريد أن نؤكد أحكامه بدراستنا للمقدمة الطللّيّة وسر تقديم امرؤ القيس على أصحاب طبقته.

يقول امرؤ القيس :

قفـا نبـك مـن ذكـــرى حـبيب بسقط اللِّـوى بيـــن الـدَّخول
ومنـــــــــــــــــزلِ فحومـــــــــــــــــلِ

فتوضـح فالمقـــراة لـم يعـف لمـا نسـجتها مـن جنـــوب
رســـــــــــــــــمها وشـــــــــــــــمألِ

قالوا إنه لم تفتتح قصيدة بأفضل مما افتتحت به هذه القصيدة ، وإن الشطر الأول بلغ الغاية في الاتقان والتجويد ، وأنه لم يحاول أحد أن ينازعه بأفضل منه، مع أن الشطر الثاني من الكلام المألوف ، وليس فيه صنعة وإنما هو ذكر أمكنه.

وقالوا في بيان وجه الجودة في الشطر الأول إنه بكى واستبكى ووقف واستوقف في شطر بيت ، وهذا جيد جداً ومعناه أن القدرة على الإيجاز ، وشدة الاقتصاد في اللفظ ، مع وفرة الاتساع في المعنى من أهم دلائل القدرة والتميز وجودة الطبع[2].

ويظهر لنا أن الإنسان الجاهلي ، بالرغم من كل ما يعترضه ويتعرض له ، يحاول أن يواجه ويقاوم ، سلاحه نفس مجّرحه ، وإرادة عازمة ... والدليل المبين المبلغ أن الشاعر بدأ قصيدته

1() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 83.
*جؤجؤ : اللحم الناتئ في صدره - *الحُشر : اللطيف الرقيق.
2() محمـد محمـد أبـو موسـي ، الشـعر الجـاهلي ، دراسـة فـي منـازع الشعراء ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، 2012م ، القاهرة ، ص 28.

بصيغة الأمر القاطعة الجازمة المشروطة "قفا نبك" و "قفا" سواء عنى بها صحاباً يعينون على البأساء ، أو نفسه المعزبة المجيرة ، تعكس رغبة هذه الإرادة القاطعة بإيقاف عجلة الزمن الدائرة ، إيقاف رحلة التشرد والتشتت يتسنى لصاحبها أن يتلفظ أنفاسه ويقاوم فيصمد أو يموت فيعذر .. إنه وقوف للتبعّد في عوامل القدرة وآثاره ، ومراقبة ما آل إليه وجوده ، ومدَّ جسور القدرة والتواصل مع ما بقي من الأحبة من دارس الديار[1].

ويجسد هذا التواصل جوانب الطلب "نبك" .. وفي "قفا نبك" تنبئ عن قوة التواصل بين الفرد والجماعة ، وأن المعاناة ليست فردية بحتة بقدر ما هي جماعية تمسّ الأحياء جميعاً ؛ ويزكي التواصل بين الفرد والجماعة هذا البكاء على "حبيب ومنزل".

فالشّاعر لم يحدد أصل الحبيب وطبيعته ، ولم يخصَّ منزلاً مفرداً بعينه ، ولذلك جاء لفظاً "حبيب" و"منزل" نكرتين غير معرفتين ، تدلان على التعميم دون التخصيص ؛ فهو إذاً يبكي الإنسان وديارة الخالية ؛ ويقف عن ما بقي منها ، عند رسومها الدوارس التي ليس حبها ما شغف قلبه ولكن حب من سكنها وبث فيها الحياة ، ولهذا تراه قد عطف "المنزل" على "الحبيب" بواو العطف خاصة الذي يجسد تلازمه ومشاركته ، وهل كان لإنسان استقرار من دون منزل ثابت يؤويه؟ أو هل كان لمنزل قيمه دون إنسان يحييه ؟ .

وها هو يقف أمام الديار وهي خالية وأصبحت جرداء ضربتها الرياح وغطتها الرمال وسيطرت عليها قبضة الفناء ، وسادها سكون الموت فأمست منزلاً للبهائم ولاسيما الأرام تفرز فيها بعرها بحرية واطمئنان دون خوف من وجود بشر يرعبها فيجبرها على الفرار... [2].

ترى بعـــر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنّـــــه حبُّ فلفــلِ

وهنا الكناية تدل على خلو الأرض من ساكنيها ! وشبه بعر الأرام بحب الفلفل ، فبعر الأرام عند خروجه يكون طيب

1() ينظر: أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، الطبعة العاشرة ، 1994م ، مكتبة النهضة ، ص 87.

2() ينظر: أبو بكر بن الأنباري ، شرح القصائد السبع الطـوال الجاهليـات ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار المعارف الطبعة الخامسة ، ص 20.

الرائحة .. وكأن الشّاعر يتلذذ ، لدى رؤيته بعر الأرام ، فتثيره الرائحة الطيبة وتحرك ذكرياته الحلوة أولاً ثم أشجانه وأحزانه[1].

ولذلك تشدّه هذه الرسوم فيروح يقلب الطرف في أرجائها والنفس في رحابها ، يتنقل ويتجول في أنحائها متريثاً ... يدل على ذلك هذه "الفاء العاطفة" في : "بين الدخول فحومل ... فتوضح فالمقراة" هذه الفاء المتكررة تدل على إنسان يقف عند كل معلم بارز يتدبر ما أصابه من صروف الزمان ويخمن ماذا أصاب أهل هذه المنطقة ؟ فأصبح يسرد أسماء منازل الحي: "بسقط اللوي بين الدخول فحومل ... فتوضح فالمقراة ..." زكا يعكسه هذا السرد من حاجة النفس لترديد ذكر المواطن موطناً موطناً تجسيداً لهول الواقع الحادث ، وتلذذاً واستمتاعاً إلا تذكير بحب مساكنها قديماً.

وهذا الرسم الذي قاوم الرياح وظل ثابتاً مصراً على البقاء "لم يعف رسمها" يجسد لنا صورة الإنسان نفسه تزعزعه الليالي وترميه بسهامها الأيام ؛ ولكن باصطباره يقاوم ليثبت في الوجود .

كأنيِّ غـداة الـبين يـوم تحمّلـوا لدى سمـــرات الحـيِّ نـاقف حنظـــــــــــــــــــــــلِ

وقوفــاً بهــا صــحبي علـــيَّ يقولــون لا تهلــك أســـى مطيِّهـــــــــــــــــــمَ وتجمَّـــــــــــــــــــلِ

يلتفت الشّاعر هنا إلى اللحظة الأجمل ، لحظة غير حاضرة بل لحظة ماضية ولت فأدبرت ، يرجع إلى تلك اللحظة يستعيدها بشوق وحنان بالرغم مما فيها من عذاب وألم ؛ إنها لحظة الوداع وداع الأحبة وأجبرتهم ظروف الزمان وغدره إلى الرحيل ، هذه اللحظة هي من الماضي لكنها راسخة لا تنسي لأنها الأشد إيجاعاً ومضاضة وإيلاماً في حياته وفؤاده وتاريخه ، ويجسد الشاعر لوعته في تلك اللحظة ، في صيغ من الكلام شديدة الإبلاغ عما يشعر به ويريد إبانته[2].

وهذا "التشبيه المجمل" "كأني ناقف حنظل" هو بليغ في وصف الألم الذي يثير مرارة النفس ويلهب الأعصاب فيفجر دموع العين حزناً وصبابة ، يريد لفت الانتباه إلى عنصر المشبه به

1() ينظـر: أبـو عبـد اللـه الحسـين بـن أحمـد الزوزنـي ، شـرح المعلقـات العشر ، الناشر : دار مكتبة الحياة ،بيروت ، 1983م ، ص 30.

2() ينظر: محمد محمد أبو موسي ، الشعر الجاهلي ومنازع الشـعراء ، ص 34.

وهو "الحنظل" تلك النبتة التي إذا لمستها هاجت حرارتها فلسعت منك العصب وأهاجت دمع العين ، وهو ما يفعله الرحيل والوداع في الشاعر ومن يودعهم.

وفعل "تحمّلوا" وما فيه من إيجاز بليغ مبلغ عن حال قوم أذعجتهم ظروف الزمان وصروف القدر فأجبرتهم على أن يلملموا أشيائهم وما يملكون ، ويرحلون بها جميعاً إلى حيث لا يدرون إلى المجهول.

والتعبير البليغ عن صعوبة صبيحة الفراق: هذه الغداة التي كان يجب أن تكون نيّرة مشرقة جميلة البزوغ والوقع ، فإذا بها تمسى – قبل أوانها – سوداء مدلهمة ، وهذا التضاد بين واقع الغداة والنفوس ، هذا التضاد يجسده الشّاعر كل التجسيد في هذا الطباق بين "غداة" و "البين" وإضافة الثانية إلى الأولى بما في الأولى من رغد النفس والأمل المشرق الباسم ، ومن الثانية من الجفاء ودواعي جفاف النفس وشقائها ، وتلك المقابلة الواضحة بين حالي "ناقف الحنظل" و "غداة البين" نفسها.

ويجسد الشّاعر في خطاب الصّحب وقد رأوا بؤس حاله وانهياره ، فهرعوا يرجونه – وهم يطوون مرارة مماثلة – أن يتحمل جرحه ويتماسك ، في صيغة الأمر والنهي "لا تهلك أسىً وتجمّل".

وإن شـــفائي عبـــــرة – إن سفحتهـــــــــــــــا وهــل عنـد رســم دارسٍ مـن معـــــــــــــــــــوَّلِ

إن الاستسلام لهذا الدمع ليفرّج بعض كرب الشاعر المفجوع ويخفف بعض من ألمه بعد أن بلغ به الأسى ما بلغ ، فأصبح بإمكانه أن يفيق من الصدمة الأولى فيخبر مصيبه ويعقل مداها ليصل إلى فاجعة أمّر من الأولى وهو الاستسلام إلى الهلاك أسىً لأن الرسم سيبقي رسم دارساً ولا ارتجاع للأحبة[1].

"فهل عند رسم دارس من معوّل" هذا الاستفهام الإنكاري يعكس الإقرار بالواقع من جهة : واقع الوجود وعوامله وواقع الإنسان في حضرة الوجود وعواقب عوامله عليه ؛ ثم استنكار طغيان الوجود وما يؤرق الإنسان من الرزايا والفواجع ، وإنكار قدرة الموجود على التعزية عن المفقود.

فتجده يعلل حبه للديار بحبه أهل الديار الذاهبين وقد أجملهما في امرأتين هما "أم الحويرث" "وأم الرباب" إذ يقول:

كــدأبك مـــــن أمّ الحــويرث وجارتهـــا أمّ الرّباب بمأسلِ قبلهـــــــــــــــــــا

1() ينظـر: أبـو عبـد اللـه الحسـين بـن أحمـد الزوزنـي ، شـرح المعلقـات العشر ، ص 31.

استخدم اسم المرأتين بلفظ الكناية المسبوق بـ"أم" وما قد يعنيه لفظ "أم" من حاجة عاطفية آمنة مطمئنة يفتقدها الشّاعر الآن في لحظته البائسة تلك ، تذكر الإنسان وهوى النفس رحم "الأم" والطبيعة الرحوم كلما اشتدت المصائب وساءت الأمور.

"فالحويرث" يذكر بالأرض الخصبة والنبات الذكي الريح وكسب النعمة ، و"الرباب" ذلك السحاب الأبيض الرقيق ، ويرفد هذين لفظ "المأسل" كمورد عذب يسقي العطاش ويروي الصّدى ، وكأن أم الحويرث وأم الرباب نبتتان نبتتا عند المأسل فروّى عروقهما فامتدتا واستطالتا واستحالتا غصني ندٍّ طيبين يضوع منهما عطر الوجود ويفوح أريج الصَّبا ورحيق الصِّبا ، يعبق بريا القرنفل الناصع البهي[1]، يقول:

إذا قامتـا تضـــوع المســك نسيـــم الصَّـبا جـاءت بريـا منهمـــــــــــــــــا القرنفـــــــــــــــل

وما في هذا القرنفل من نصاعة الوجود وبياض الأمل وضوء الرجاء ، إنها لحظة إشراق خاطفة يستعيد بها الشّاعر فترات حياته الرائعة يحاول بها أن يهرب من واقعة البائس وحاضره الشقي وقد أبان ذلك بوضح تام في بعض ما قاله:

أذكرت نفسك مالـــــن يعـودا فهـــــاج التذكر قلباً عميـداً

تذكـــــــــــرت هنــداً وأترابهــا وأزمان كنت لها مستعيـــــدا

وأيـام كنـت بهـا معجبـــــــاً تطـــــع الغـــويّ وتعصـــي الرشـــــــــــــــــيدا[2]

ولكن الواقع يعود ويصدم الشّاعر بشدة وعنف ويعيده من عالم الحلم إلى حقيقة الأمر فيستعيد فجيعته وأساه ويضيق من لحظة " الحلم" ليكتشف فراغ الواقع ورهبته فلا يملك إلا أن يتألم من جديد هوى وصبابة ويغلبه دمعه فينهمر ويفيض حتى يغرقه ، يقول:

1() ينظر: محمد محمد أبو موسي ، الشعر الجاهلي ، دراسة في منازع الشعراء ، ص 35.

2() امرئ القيس – ديوانه – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص (251) – دار المعارف بمصر ، ط 2 ، 1964م

ففاضـت دمـوع العيـن منـــى على النّحر حتى بـــل دمعـي
صـــــــــــــــــــــبابةً محمـــــــــــــــــــــلِ

ويلفت في هذا الموقف الأخير أمران جديران بالتوقف عدهما:

1- أولهما: حضور المرأة في تلك اللحظة الحالكة حضوراً "نيراً" بديهياً لا تكلف فيه ولا تعمد ، حضور يرمز لما يفتقده الشّاعر من الأمان والاطمئنان ولا حبه والديار.

إن امرأ القيس ، ككل شاعر أصيل ورجل ذي حس مرهف ووجدان شفاف صقيل ، لا تتم الحياة عنده ولا يكتمل إنسانه إلا إذا حضرت المرأة وائتلف بها ، تلك الأنثى المرتجاة التي هي كالطبيعة والأرض رحَمُ الحياة ورحمتها.

2- ثانيهما: تلك المبالغة الشعورية والتصويرية عن ازدياد الأسى لتأكده من استحالة استعادة الماضي الذاهب واسترجاع المفقود[1].

وتبدو تلك المبالغة في صورة الدمع الفياض "ففاضت دموع العين" وقد أغرق الشّاعر في سيله وما في هذه المبالغة من كناية عن حس طفولي بعيد صادق في تجسيد قوة الشعور ، وقد بدأ الحزن والبكاء بـ"عبرة مهراقة" وانتهى فيضان دموع جارفة ، وإذا كان شفاء الشاعر عبرة كما قال فقد فاضت دموعه ، وانكشف بهذا الفيض همّه الذي أشفى به على الهلاك[2].

ومن خلال هذا التحليل ، الذي بيّن مظاهر الجودة ، في مقدمة امرئ القيس، أنه استطاع من خلال جودة شعره أن يحتل أولى الطبقات لما برع فيه من جودة في الوصف والتشبيه ، وهذا الترابط في القصيدة وبين سائر أبياتها ، كعلاقة الجملة بالجملة ، وهذا من أكرم عناصر البلاغة ، فقد فتح لدى الشّعراء بعده أبواب المعاني حتى يدخلوا من وصف الخيل ، فقد اقتبسوا معانيه.

2-الجودة في شعر النابغة الذبياني:

لقد اعتمد ابن سلام علي معيارين ، فنيين ، بارزين في تفضيل النابغة الذبياني وهي: جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق وتعد جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق ، أحد المعايير الفنية التي أهلت النابغة

1() ينظر: محمد محمد أبـو موسـي ، الشـعر الجـاهلي دراسـة فـي منـازع الشعراء ، ص 36-37.

2() المرجع نفسه ، ص 39.

لأن يتبوأ هذه المكانة ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ، وهذا لاتصاف شعره بالحسن والزينة ، بحلظة متلقي الشّعر ، إذ يولد في نفسه حال من النشوة كشبه حال من يلمس الديباج أو من يمعن النظر إليه.

الأمر نفسه في الشّعر كثير الماء والرونق ، فإنه يبعث في النفس إحساساً يشبه إحساس من يبصر رونق السيف ونضارة الشباب وإشراقه ، وعلى هذا الأساس قدم بعضهم النابغة ، يقول ابن سلام : " وقال من احتج للنابغة كان أحسنهم ديباجة وأكثرهم رونق كلام..." [1].

"إن جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق ، تعنيان الحسن والطلاوة والزينة والأسلوبية المعتمدة على جرس الألفاظ وعذوبة أصدائها في النفس"[2].

ومن هنا يتضح أن شعر النابغة الذبياني يقترب في ذوقه من المدرسة الأوسية التي اشتهرت عند القدماء بالتنقيح والتجويد ، فهو لا يقبل كل ما يرد على خاطره ؛ بل لا يزال ينقصه ، ويصقله حتى يستوي له اللفظ الموثق والديباجة الجذلة فقد أتيح له أن يعيش في بيئتين متحضرتين هما ، الجيزة وبلاط الغساسنة فرق ذوقه ، وسهل منطقه ولفظه.

ويقول ابن سلام عن شعر النابغة "كأن اجذلهم"[3]. ويروي (إن عمر بن الخطاب قال: أي شعر الحكم يقول) :

فلست بمسبق أخـــا لا تلمه علــى شــعث أي الرجـــال المهـــــــــــــــــــذب

قالوا : النابغة ، قال هو أشعرهم [4]. فالتفضيل هنا قائم على استجادة بيت النابغة وجزالة شعره ، والجزالة تعطي معني الجودة.

3-الجودة في شعر زهير :

ثم يورد ابن سلام أبيات زهير الجيدة التي يقول فيها:

من يلق يومـــاً علـى علاتـه يلـــق السماحة منه والنـدى هرمـــــــــــــــــاً خلقـــــــــــــــــاً

ويقول عن زهير أنه كان أجمعهم لكثير من المعني القليل المنطق([5]). فنجد زهير ابن أبي سلمي حظي بمكانة راقية في الشّعر

1()ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 56.

2() عيسي علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، ص 12- 126.

3() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 57.

4()المصدر نفسه ، ص 57.

5()ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 64.

العربي ، إذ وضعه ابن سلام ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ، وهذا لتميز شعره ، واتصافه بالحصافة التي تعني وجود الرأي وأحكامه وسداده فهذه الجودة التي أهلته لأن يتبوأ ويتصدر هذه المرتبة مع قرائنه امرؤ القيس والنابغة والأعشى ، ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إنه قال لابن عباس أنشدني لأشعر شعرائكم قلت: من هو يا امير المؤمنين ؟ قال: زهير ، قلت : وكيف كان كذلك ، قال: "كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشيةٍ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[1].

فالخليفة عمر يفضل زهيراً على سائر الشّعراء ، لاتصاف شعره (الجودة) والصدق الفني ، فقد قال : كان يتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي في شعره ما جعله يبلغ المعاني والشّعر كما كان صادق في فنه بحيث لا يمدح الرجل إلا بما فيه – من هنا استحق زهير مكانته ضمن الشّعراء في الطبقة الاولى الجاهلية وهذا لقيمة شعره الفنية وأحكامه. يقول زهير في معلقته :

رأيت المنايا خبط عشواء تمته ، ومن تخطئ يعمر فيهرم
من تصب

ومن لم يصانع في أمور يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
كثيرة

ومن هاب أسباب المنايا وإن يرق اسباب السماء بسلم
ينلنه

ومن يغترب يحسب عدواً ومن لا يكرم نفسه لا يكرم[2].
صديقه

وما يدل على مثابة زهير بشعره وجودته حرصه الشديد على عدم إذاعته للناس إلا بعد تنقيحه وتهذيبه ليبدوا في الإطار الذي يرتضيه هذا الشاعر المجيد لفنه الذي عرف بين الناس بالإجادة والإبداع وتنقية الأعلام الادبية من الشوائب ، من واجب كل شاعر الذي يولي اهتماماً لشعره ويحترم أذواق الناس فلا يقدم إليهم إلا فن يطمئن الشاعر لجودته ، أولاً ، وهذا ليرضي عنه الأذواق.

السائرة في بيئات الفن والأدب وكان ذلك هو المهم في تلك الأحكام الكثيرة التي اجتمعت على الاعتراف بجودة شعر

1() المصدر نفسه ، ص 64.
2()المصدر نفسه ، ص 63.

زهير وعدته من شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ونموذج جودة شعره قوله:

بهـا العيـــن والآرام يمشـين خلفـــــــــــــــــه
وأطلاؤهـا ينهضـن مـــن كـل مجثـــــــــــــــــم

وقفت بها مـــن بعد عشــرين حجـــــــــــــــــة
فلايــا عرفــت الــدار بعـــد توهـــــــــــــــــم

أثــافي ســفعاً فــي معــرس مرجـــــــــــــــــل
ونؤيــا كجــذم الحـــوض لـم يتثلـــــــــــــــــم[1]

وهذا يدل على اتصاف شعر زهير بالحصافة والجودة الفنية إن تشبه امرأة في الشّعر بثلاثة اوصاف في بيت واحد ، قوله :

تنــازعت آلمهــا شــبهاً ودر النحـــــــــــــــــور
وشاكهــت فيها الظبـــــاء[2]

وقوله :

يطعنهم مـا أرتمـوا حـتى إذا أطعنـــــــــــــــــوا
ضــارب حــتى إذا مــا ضــاربوا اعتنقـــــــــــــــــا[3]

ومما يستجاد له قوله :

وذي نعمة تممتها وشكرتهـــا بـــــــــــــــــاطله
وخصـم يكـاد يغلـب الحـق

وذي خطل في القول يحسب انـــــــــــــــــه
مصيب فمـا يلمـم بـه فهـو قاتلـــــــــــــــــه

دفعـت بمعروفـاً مـن القـول لصائـــــــــــــــــب
إذا مـــا أضـــل النـــاطقين مفاصـــــــــــــــــله[4]

4- الجودة في شعر الأعشى :

1() القاضي أبي عبد اللـه الحسـين بـن أحمـد الزوزنـي ، شـرح المعلقـات السبع ، ص 99.
2() ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، ص 129.
3() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 138.
4() المرجع نفسه ، ص 138.

ومن الشّعراء الذين تحققت الجودة في أشعارهم ، نجده الأعشى ، يقول ابن سلام: "مورد أحجة من يقل حجة الأعشى وأذهبهم في فنون الشّعر وأكثرهم طويلة جيدة واكثرهم مدحاً وهجاء ، وفخراً ووصفاً ، كل ذلك عنده"[1].

فابن سلام اتخذ مقياس الجودة مع مقياس آخر هو الكثرة حيث يرى ان يكون للشاعر قصائد كثيرة طويلة مع جودتها ؛ لذا قدم الأعشى لهذين الشرطين :

-جودة قصائده – وكثرة شعره .

تريك القذي من دونها وهي دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق[2]

وقوله :

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل[3]

وقوله :

وقد غدوت إلي الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شول

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحصي وينعل

نازعتهم قضب الريحان متكئاً وقهوة مزة رواقها خضل

لا يستفيقون منها وهي راهنة إلا بهات وإن علوا وإن نهلوا

يسعي بها ذو زجاجات له نطق مقلص أسفل السربال معتمل

فهو في الأبيات يصف يوماً من أيام لهوه ، غدا فيه إلى خمار مع رفيق ناشط ، خفيف الحركة ، طيب النفس ، في فتية

1() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 65.

2() ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، ص 229.

3() المصدر نفسه ، ص 223.

كسيوف الهند ، مضاء وقوة ورونقاً، فالأعشى أجاد في وصف الخمر إجادة لفتت النقاد القدامى ، فقالوا عنه بأنه أشعر الجاهليين إذا طرب أي : شرب الخمر ووصفها .

ومن النماذج الدالة على الجودة في أشعار الطبقات نجد الحطيئة ، والذي مثل الطبقة الثانية من الجاهلية ، فأشعار الحطيئة توفرت على الجودة ما أهله لأن ينال هذه الدرجة يقول ابن سلام عن شعر الحطيئة "وكان الحطيئة متين الشّعر شرود القوافي"[1].

ومن جيد شعر الحطيئة قوله :

أبــي لــك آبــاء أبــى لــك مجدهـــــــــــــــــم
سوى المجد فانظر صاغراً من تنـــــــــــــــــافره

قبور أصابتها السيــوف ثلاثة
نجــوم هــوت فــي كــل نجــم مرائـــــــــــــــــره

فقبر بأجبال ، وقبـــر بحاجر ساعـــــــــــــــــره
وقــبر القليــب أسـعر الحــرب

وشر المنايـا هالـك وســط اهلـــــــــــــــــه
كهلــك الفتــاة أيقــظ الحــب حاضـــــــــــــــــره

وقوله :

أذئــب الفقـــــر أم ذئــب أنيـــــــــــــــــس
أصــاب البكـــــر ، ام حــدث الليـــــــــــــــــالي

ونحن ثلاثــة وثـــــلاث ذور
لقــد جـــاز الزمــان عليـــا عيـــــــــــــــــالي

وقوله كذلك :

مــاذا تقــول لأفــراخ بــذي مـــــــــــــــــرخ
حمــر الحواصــل لا مــاء ولا شـــــــــــــــــجر

ألقيت كاسـبهم فـي قعــر
فاغفر ، عليـك سـلام اللـه يـا

1() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ج 1 ، ص 104.

مظلمـــــــــــــــة عمـــــــــــــــــــــــــر

أنت الأمين الذي مـن بعـد صـــــــــــــــاحبه
ألقــت إليــك مقاليــد النهــي بالبشـــــــــــــــــــــر

لـم يـؤثروك إذا قدمـــوك لهـــــــــــــــا
لكــن لأنفســهم كــانت بهــا الأثـــــــــــــــــــر[1]

فهذه بعض النماذج التي اتسمت بالجودة لدى شعر الحطيئة ، ويقول عن عدي : "وله أربع قصائد قدر روائع مبرزات"[2].

ومن جيد شعره قوله :

ذهبـت مـن الهجـران فـي كـــــــل مـــــــــذهب
ولم يك حقاً كل هـذا التجنـب

وقوله :

طحا بك قلـب فـي الحسـان طـــــــــــــــــــروب
بعيــد الشــباب عصــر حــان مشـــــــــــــــــــيب

هل ما علمت وما استودعت مكتـــــــــــــــــوم
أم جعلهـــا إذا ناتـــك اليـــوم مصـــــــــــــــــــروم

ولا شيء بعدهن يذكر"[3].

ويقول عن سويد بن كراع (وكان شاعراً محكماً وكثير ما يختار الشّعر الجيد).

وله قصيدة جيدة اولها :

بسطت رابعة الحبـــــل لنـا فمــددنا الحبــل منهــا ، مــا اتســـــــــــــــــــــــع

وله شعر كثير ولكن ، برزت هذه على شعره ، وهو الذي يقول:

جررت على واجـبي الهـوادة منهـــــــــــــــــــم
وقــد تلحــق المــولى العنــود الجرائـــــــــــــــــــر[4]

1() المصدر نفسه ، ص 112-171.
2() المصدر نفسه ، ص 139.
3() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 139.
4() المصدر نفسه ، ص 272-273-274.

وعن المثقب يقول ابن سلام : " والمثقب العبدي هو الذي يقول:

أفاطم قبـــل بينك متعيني ومنعــك مـــا ســألتك ان تـــــــــــــــــــبيني

ولا تعدي مواعـد كاذبـــات تمر بهـــا رياح الصيف دوني

فـــأني لـــــو تخـــالفني شـــــــــــــمالي خلافــك مـــا وصــلت بهــا يمينـــــــــــــي

إذاً لقطعتها ولقلت بينـــي ! كـــذلك اجتـــــوي مـــن يجتـــــــــــــويني

إذا ما قمـت أرحلهـا بليـــل تأوه آهة الرجـــل الحزين

تقـــول إذا درأت لهـــــا وضـــــــــــــيني أهــذا دينــه أبــداً ودينـــــي

أكل الدهر حل وارتحـــالا؟ أمـــا يبقي على ولا يقينـي

فابقي باطلي والجـــد منها كدكان الـــدّر ابنة المطيــن

وهذه الأبيات بعض القصيدة وإنما انتخبنا أجودها ابياتاً [1]، وهذا يدل على اهتمام بن سلام الجمحي بمقياس الجودة في الشّعر والجودة للشاعر لها قيمة كبيرة حتى ينتج الشاعر شعراً جيداً في مرتبة لا يصل إليها شعر مفتعل ، ملحق بغير صاحبه ، ونجد أن ابن سلام الجمحي اهتم بالجودة وقدمها على سائر المقاييس ، وعليه قدم شعراء وأخر شعراء في الطبقات ، وهذا نراه عندما قدم "علقمة الفحل" إلى الطبقة الرابعة نسبة لوجود ثلاث روائع طوال لولالهن لتأخر عن هذه الطبقة.

1() المصدر نفسه ، ص 223.

وعلى الرغم من ان ابن سلام جعل الجودة للقياس الأول إلا أنه دائماً ما يجمع بينها ومقياس الكثرة.

ويرى الدكتور إحسان عباس "لابد من اعتبار الكم في إلحاق الشاعر بالفحول ، وهذا مبدأ اعتمده ابن سلام حيث تحدث عن الطبقة السابعة من فحول الجاهلية"[1]. وذلك عندما قال: "أربعة رهط محكمون مقلون وفي أشعارهم قلة وذلك الذي أخذهم"[2].

ولكن أحياناً نجد ابن سلام يفضل الكثرة على الجودة ويهتم بالإنتاج أكثر من الجودة ، على الرغم من أن بعض النقاد انتقدوا هذه الفكرة مثل : الدكتور محمد مندور في كتابه : النقد المنهجي عند العرب ، وقد أوردناه في الفصول السابقة.

2- مظهر الجودة عند الشّعراء الإسلاميين :

ونجد أن ابن سلام الجمحي ، جعل الجودة الفيصل في التفضيل بين جرير والفرزدق والاخطل وفسر قولهم : " الأخطل إذا لم يجئ سابقاً فهو سكيت[3] ، والفرزدق قد لا يجئ سابقاً وسكيت ومصليا[4]"[5].

ويعني من كلامه تفاوتهم في الجودة وتأويل قوله: أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالا غر أجياد هو بهن سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت ، والسكيت آخر الخيل في الرهان ، ويقال: "ان الفرزدق دونه في هذه الروائع ، فوقه في بقية شعره ، فهو كالمصلي أبدأ الذي يجئ بعد السابق وقبل السكيت ، وجرير له روائع هو بهن سابق ، والأوساط هو بهن مصلي وسمسمات هو بهن سكيت"[6].

جعل ابن سلام مقياس السبق والتقدم هو الجودة الظاهرة في القصائد الغر الجياد ، فالفيصل في التقديم عائد لروائع القصائد وجيادها وذكر الأبيات التي حكم بها مروان في الثلاثة ، وذكر أن تفضيلهم عائد للجودة ، وتلك الأبيات هي : أولاً: قال له مروان بن أبي حفصة أحكم في الثلاثة بشعرٍ ، فإن الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم فقال:

ذهــب الفـــرزدق بالفخــار حلــو الكلام ومرّه لجريـــر
وإنمـــــــــــــــــــــا

1() إحسان عباس ، النقد الأدبي عند العرب ، ص 80-81.
2() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشّعراء ، ص 124.
3() السكيت: هو آخر الخيل في الرهان.
4() المصلى : هو الذي يجئ بعد السابق في الرهان.
5() محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 321.
6()محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 375.

ولقـد هجـا فامـــض أخطـل وحـــوى اللهــى بمــديحه
ثعلـــــــــــــــــــب المشـــــــــــــــــــهور

كل الثلاثة قـــد أجـاد فمدحه وهجـــاؤه قـــد ســار كـــل
مسيـــــــــــــــــــــــر[1]

نجد ابن سلام الجمحي يجعل الحكم النهائي في تحديد مكانة الشاعر – جودة شعره ، وتراه يورد بيتاً واحداً يجعله الحكم في التفضيل لجودته.
فقد أورد بيت جرير:
وطــوي الطــراد مــع القيــاد طــي التجـــار بحضــرموت
بطونهـــــــــــــــــا بـــــــــــــــــرودا

ويبين ان عبيدة بن هلال اليشكري فضل به جرير على الفرزدق[2].
مما سبق يظهر لنا اهتمام ابن سلام الجمحي بالجودة الشّعرية ، وأنه جعلها المقياس الأول للتفضيل ، وذكر جيد الشّعر ، سواء كانت الجودة في الشّعر عامة أو في فن من الفنون ، او في الأبيات المفردة ن واهتم كثيراً بالإجادة عندما يتحدث عن شاعر أو شعر ، أو يذكر آراء العلماء في تفضيل شاعر ، أو يفسر بعض الأمور المتعلقة بالشّعراء ، فيجعل الجودة غالباً محور التفضيل والحديث.
إن اهتمام ابن سلام بمقياس الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له أثراً واضحاً في التفضيل أو التقديم والتأخير من الطبقات ، من شعراء داخل الطبقة الواحدة .
قال ابن سلام: وسألت الأسدى – أنابني سلامه – عن جرير والفرزدق والأخطل ، فقال: "بيوت الشّعر أربعة: فخر ، ومديح ، وهجاء ، وفي كلها غلب جرير. في الفخر قوله":
إذا غضبت عليـــك بنـو تميـم حسبت النـــاس كلهم غضابا

وفي المدح قوله:
ألتســـم خيـــر مـــن ركـــب وأندى العالمين بطـــون راح
المطايـــــــــــــــــا

1() المصدر نفسه ، ص 378.
2() المصدر نفسه ، ص 382.

وفي الهجاء قوله:

فغـض الطـــــرف إنـك مـن نميـــــــــــــــــــــــــر فـــــلا كعـب بلغـت ولا كلاب

وفي النسيب قوله:

إن العيون الـتي فـي طرفهـا حـــــــــــــــــــــــــور قتلننا ثم لم يحييـن قتلانـــــــا

وإلى هذا يذهب أهل البادية"[1].

لقد جعل ابن سلام ، جرير على رأس الطبقة الأولى للشّعراء الإسلاميين ويتضح من هذا أنه تعمق في فهم الشّعر وتذوقه ، وفي معرفة مميزات الشّعراء تعمق لم يهتد إليه أحد من قبل ، فقد عرف أن جرير قوى الطبع صادق الشعور، سهل الألفاظ جزل المعاني ، لذلك جعله على رأس الطبقة الأولى للشّعراء الإسلاميين.

قال ابن سلام: "سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل: فقال لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، فقلت: فجرير والفرزدق ؟ قال: كان جرير يحسن ضروباً من الشّعر لا يحسنها الفرزدق وفضل جرير عليه"[2].

جرير من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام ، وهو أكثر شعراء طبقته فنون شعر ، يجيد ، فضلاً عن النقائض والمديح والفخر ، الغزل والرثاء ، وقد برع في فن من الغنى حتى تمنى خصومه أن تكون عندهم قريحة جرير الشعرية ، وهو تفوق على أصحاب طبقته بتعدد الأغراض والجودة.

لذلك سنعرض لنص من نصوصه لكي نبيّن مظهر الجودة عنده ، كما بين ابن سلام تفضيل جرير على اهل طبقته في الرثاء ، يقول نقلاً عن بشار: كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار ينوحون طيها بشعر جرير[3] ، ثم ذكر قصيدة جرير في الرثاء التي كانت سبباً لتفضيله عليهم في هذا الفن ، يقول جرير:

لولا الحياء لعادني استعبار يـــــــــــــــــــــــــزار ولــزرت قــبرك والحــبيب

1() محمد بن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشّعراء ، ص 380.

2() المصدر نفسه ، ص 374.

3() محمد بن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشّعراء ، ص 456.

ولقــد نظــرت ومــا تمتــع فــي اللحــد حيــث تمكــن
نظـــــــــــــــــرة المحفـــــــــــــــــار

نرى جرير في هذه الأبيات يصور حاله بعد فراق زوجته وما آل إليه ، فمن خلال البيت الأول نراه لم يستطيع الصبر إذ كانت هناك عادات صارمة وتقاليد موروثة تمنع رثائه لزوجته خالدة ، فها هو يكسر هذه العادات ويقول رائيته المشهورة.

وعندما يقول: لولا الحياء كأنه فعل أمر ليس من الذوق ولا من الحياء ، وأيضاً لو لا الحياء لعادة الاستعبار والبكاء والألم على فراق زوجته ، وهو يشكو حزنه وألمه في مواجهة هذا المجتمع الصارم الذي يرفض البكاء على الزوجات وزيارة قبورهن ، ويقول أيضاً والحبيب يزار هنا يتضح جلياً مقدار الحب الذي يكنه لزوجته خالدة.

ولهــت قلــبي ، إذ علتنــي وذوو التمــائم مــن بنيــك
كـــــــــــــــبرة صـــــــــــــــغار

أرعى النجوم وقـد مضـت عصـــب النجـــوم كـــأنهن
غوريـــــــــــــــة صـــــــــــــــوار

ويقول: في البيت الثاني بأنه قد نظر في لحدها وقبرها بعد موتها ، ويصور لنا الشّاعر أن النظر في هذا المكان لا يمكن أن يكون ممتعاً للبصر ومكان للسرور العين ، هذا المكان أداة الحفر التي حفر بها القبر.

ويقول : وفي البيت الثالث : أنه حزن حزناً شديداً وأصابته مصيبة عندما ذهبت وتركت أطفالها صغاراً يعانون ويقاسمون الحياة مع أبيهم.

ويقول: أنه لا ينام الليل أيضاً فقد أذهب فراق زوجته عنه النوم ، فيسرى يرعى النجوم كأنه يرعى قطيعاً من بقر الوحش إذ أن الراعي لا يمكن أن يترك قطيعه ويذهب وهنا تصوير رائع ، ولذلك لشدة مراقبته للنجوم وهذا يدل على قرب النوم من عينيه.

لا تكـــــثرن إذا جعلـــــت لا يذهبن بحملـــك الإكثار
تلـــــــــــــــــومني

كان الخليـط هـم الخليـط متبدلين ، وبالديـــار ديـار
فأصـــــــــــــــبحوا

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكـــــر عليهـم ونهـار

نعـم القريـن وكنـت علـق مضـــــــــــــــــنة وأرى بنعـف بليـه الأحجـار

ويقول في بيت آخر: لا تكثرن من لومي وعتابي ، فهو هنا يجرد من نفسه شخصاً آخر ليكلمه ويبث همومه له ، ويقول إن بقيت تلومني على فراق زوجتي فسوف تتعب وهذا يدل على استمرار ألم الفراق ومدى حبه لزوجته.

ويقول: إن كل شيء تغير بعد موتها فقد تغيّر خلطائه وجلساءه ، وهذا يدل على تغيّر نفسيته ، إذ أن الخلطاء والجلساء لم يتحملوا منه تألمه من تألمه وفراقه لزوجته ، وتغيرت أيضاً الديار وتغير كل شيء له علاقة بجرير ، ويقول أن الليل والنهار لا يبطئان في فراق الأزواج.

عمـرت مكرمـة المسـاك وفـــــــــــــــارقت ما مسـها صـلف ولا إقتـار

كانت مكرمة العشير ولـم يكـــــــــــــــن يحشــى غوائــل أم حــزرة جـــــــــــــــار

ولقـد أراك كسـيت أجمـل منظـــــــــــــــر ومع الجمال سكينة ووقـار

والريـــــــح طيبـــة إذا اســـــــــــــــتقبلها والعرض لا دنس والأخـوار

ويصفها أيضاً بأنها نعم الزوجة ونعم القرين ونعم الحليلة ، ويصفها بأنها كالعقد النفيس المنظوم من الأحجار الكريمة الثمينة ، ويقول أنها كانت طيبة المعاشرة حسنة الخلق ولم يبغضها زوجها لسوء معاشرة[1].

ويصفها بأنها كانت جميلة المنظر ، ويزين هذا الجمال الخَلقي الجمال الخُلقي ، وهو السكينة والوقار ، وكانت ريحها طيبة كما يقول في إقبالها وإدبارها، ويصف ابتسامتها بأنها نور بل هي نار من شدة ضوئها في ذلك الوجه الأغر المسفر ، ويصف

1() ينظر:محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، شـرح ديـوان جريـر ، مطبعـة الصاوي ، مصر ، الطبقة الأولى ، ص 199-201.

النظرات الجميلة التي تمتلكها زوجته ، ويقول أنها خزنة لا يمكن أن تفتح مليئة بالأسرار.

وإذا سـريت رأيـت نـارك نـــــــــــــــورت ... وجها أغـــر يزينه الإسـفار

يا نظـرة لـك يـوم هـاجت عـــــــــــــــبرة ... من أم حزرة بـالنميرة دار

تحـــي الروامـــس ربعهـــا فتجـــــــــــــده ... بعـــــد البلـــى ، وتميتـــه الأمطـــــــــــــار

كـــانت إذا هجـــر الحليـــل فراشـــــــــــــها ... خـــزن الحـــديث وعفـــت الأســـــــــــــرار

مـــتراكب زجـــل يضـــئ وميضـــــــــــــه ... كـــالبلق تحـــــت بطونهـــا الأمهـــــــــــار

صـــلى الملائكـــة الـــذين تخيـــــــــــــروا ... والصـــــالحون عليـــــك والأبـــــــــــــرار

وعليك مـن صـلوات ربـك كلمـــــــــــــا ... نصـــب الحجيـــج ملبـــدين وغـــــــــــــاروا[1]

وأيضاً نلمح الحس الديني الواضح ونرى الألفاظ الإيمانية ، فالشاعر هنا في مقام الدعاء ، فهو يدعو لزوجته بالرحمة والمغفرة ويدعو الله بأن يغسلها بالماء الزلال الغزير الذي يغسل الذنوب ولا يبقي منها شيء ، وهو يستمر بالدعاء لقبرها بالمطر الذي هو في وادي برقة ، ويصف ذلك المطر بأنه له صوت أجش قوى ووميض لامع وهذا يدل على غزارة المطر وقوته ، ويختم دعاءه بصلاة الملائكة عليها والأبرار والصالحون ، والحجيج كلما رفعوا أيديهم على قيام الساعة ، وهو هنا لم يختر أي ناس للدعاء لها ، بل الذين دعواتهم مستجابة وهذا يدل على إيمانه العميق[2].

1() جريـر ، ديـوانه ، تحقيـق ، نعمـان محمـد أميـن طـه ، دار المعـارف ، الطبعة الثالثة ، ص 199.

2()جرير ، ديوانه ، تحقيق ، نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ص 202.

العاطفة : هي الحالة الشعورية التي يهبها الأديب للنص فتؤثر في المتلقي سواء أكان النص شعراً أم نثراً ، ولابد أن تكون العاطفة صادقة فبغير الصدق لا يمكن لها أن تؤثر في المتلقي مهما كان الأديب بارعاً في التمثيل[1].

ولو نظرنا لأغراض الشّعر كافة لوجدنا أن غرض الرثاء ، هو أصدق هذه الأغراض ، لأنه لا يمكن فيه المجاملة فالشاعر إذا مات له قريب أو صديق عزيز في ماذا يجامل وان جامل فهذه عاطفة باردة سوف تتضح مهما كان بارعاً في إخفائها ، لأنه لابد من صدق العاطفة وعمق الانفعال للوصول لتجربة شعرية حقيقية.

وكثيراً ما يقترن الصدق بجودة أشعار الرثاء إذ يقال (ما خرج من القلب وقع في القلب ، وما خرج من اللسان لا يتعد الآذان) [2].

فالشّاعر عندما يمدح غالباً ما يكون طامعاً بالعطايا والهبات عن الممدوح ، وعندما يتغزل قد يكذب لنيل ود محبوبته ، وعندما يهجو يقلب الحقائق للنيل من عدوه ، لكنه حين يرثي ماذا يريد م نميت قد مات ؟ لا يريد منه بل يريد أن يخرج ما في قلبه من ألم الفراق وحرقة الفؤاد من هذه المصيبة التي أصابته ، فهو يتوجه بعواطف نبيلة صادقة خالية من أي زيف ، يدفعه الوفاء والحب والحنين على هذا المرثي ، وفي هذه القصيدة أرى أن الشاعر نجح نجاحاً فائقاً وهو يصور ألمه وفراقه وحرقته لفراق أعز إنسان إليه أمام القارئ والمتلقي ، فهو يصور نفسه قائماً على قبرها ، ويصور حرقة فؤاده بأنها تركته يعاني ويقاس الحياة مع أولاده الأيتام الذين فقدوا والدتهم.

هنا ينقل لنا الشّاعر مشاعره بحذافيرها وألمها ومعاناتها فكل قارئ للنص لابد أن يتأثر بالعاطفة الحزينة التي تتوقد من النص لتصل إلى القارئ فيحزن من حزن الشاعر.

ونرى عاطفة الشّاعر هنا متدرجة بعض الشيء أي أنها تقوى في حين وتتخلى عنه القوة في حين آخر فهو عندما يتذكر زوجته وشكلها وبسمتها وجمالها الخَلقي والخُلقي وطيبة معاشرتها تلاحظ تلك العاطفة المتوهجة الحزينة وهو يتذكر زوجته ، وحين آخر نلاحظ أن قوة العاطفة تخبو قليلاً ثم تعاود الاشتعال ومن ذلك قوله:

مـــتراكب زجـــل يضـــئ كـــالبلق تحـــت بطونهـــا

1() أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، الطبعة العاشرة ، 1994م ،مكتبة النهضة المصرية ، ص 181.

2() المرجع نفسه ، ص 191.

وميضـــــــــــــــــه الأمهـــــــــــــــــار

هنا انتقال الشّاعر إلى وصف المطر والبرق الذي يصب على قبر زوجته فأرى هنا أنه ابتعد قليلاً عن لهيب العاطفة ، ليعاود الاشتعال وعاطفة الحزن الأليمة فيقول:

كانت مكرمة العشيرولم يكن يخشى غوائل أم حزرة جـار

هنا عاد الشّاعر ليصل بعاطفته إلى ثروتها وهو يصف هذه الإمرأة الطيبة الحسنة في معاشرتها لزوجها وجيرانها وهو يتذكرها بكل شيء حسن[1].

ونرى من دلائل قوة العاطفة لدى الشّاعر ما استخدمه من الأساليب الإنشائية التي تدل على قوة العاطفة لدى الشّاعر فمن ذلك أسلوب النداء الذي يدل على بعد المرثي وعدم رجوعه إليه فقال الشّاعر:

يا نظرة لك يوم هاجت عبرة مـن أم حـزرة بالنميرة دار

والألفاظ في هذه القصيدة ألفاظاً قوية عندما يحتاج الأمر إلى ذلك ونجد ألفاظاً سهلة رقيقة عندما يحتاج الشّاعر إليها ، فهو أحياناً يكثر من الألفاظ الماضية التي تدل على انه يتذكر تلك الأيام الجميلة التي قضاها مع زوجته خالدة ويتذكر تلك المأساة التي مر بها والمصيبة التي أصابته.

وهذه القصيدة قد نالت جودتها من خلال سيرورتها في تلك الفترة ، وقد تفوق جرير على أصحابه في الطبقة الأولى للشّعراء الإسلاميين ، من خلال تفوقه في كثير من الفنون أو الأغراض ، والرثاء احد هذه الأغراض التي تفوق بها.

فمقياس الجودة هو الذي قدم على أثره علقمة الفحل إلى الطبقة الرابعة فله "ثلاثة روائع جياد لا يفوقهن شعر"[2] لولاهن لتأخر عن هذه الطبقة إذ ليس له جياد غيرها ، وإلا لتقدم لطبقة أفضل منها في الترتيب.

ومقياس الجودة هو الذي وضع عبيد بن الأبرص في الطبقة الرابعة مع أنه لا يعرف له من الشّعر إلا واحدة. وهي المعلقة المشهورة التي يقول فيها :

أقفر مـــــن أهلـه ملحـوب فالقطبيـــات فالذنـــوب[3]

1() ينظر: أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ص 190.

2() محمد بن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشّعراء ، ص 139.

3() المصدر نفسه ، ص 139.

وما بقي لا يراه ابن سلام الجمحي شعراً ، ولولا جودة هذه لما تقدم إلى هذه الطبقة لقلة شعره ، وهو هنا فقد عنصر الكثرة والكم ، ولكنه حصل على عنصر الجودة.

وأيضاً الجودة وحدها هي التي جعلت عنترة بن شداد في الطبقة السادسة لأن له واحدة نادرة وهي :

يـــا دار عبلـــة بالجـــــواء وعمـــي صـــباحاً دار عبلـــة
تكلمـــــــــــــــــــي واسلمـــــــــــــــــــي

فـــوقفت فيهـــا ناقتـــــي فدن لأقضـــي حاجة المتلوّم
وكأنهـــــــــــــــــــا

وتحـــــل عبلـــة بـــالجواء بـــــالحزن فالصَّمـــــــــان
وأهلنـــــــــــــــــــا فـــــــــــــــــــالمتثلم

حييـت مـن طلـــل تقـادم أقـــــوى وأقفـــر بعـــد أم
عهـــــــــــــــــــده الهيثـــــــــــــــــــم[1]

1() القاضي بن عبيد اللـه الحسـين بـن أحمـد الزوزنـي ، شـرح المعلقـات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، ص 78.

الخاتمـــــة

الخاتمة

في نهاية البحث ، وبعد جولتنا مع مصطلح الجودة عند ابن سلام في كتابة طبقات فحول الشّعراء خلصنا إلى:

- النتائج:

أولاً: إن الأحكام النقدية قديماً كانت أحكاماً انطباعية جزئية ، تهتم بأن يكون الإنتاج الأدبي جيداً ، وعندما جاء ابن سلام في القرن الثالث الهجري أصبحت الأحكام منهجية على يده.

ثانياً: إن فكرة الجودة أول ما ظهرت في التراث النقدي القديم ؛ حيث كان الشّعراء يحكمون على أشعار بعضهم البعض إما بالجودة أو الرداءة "المفاضلة بين الشّعراء".

ثالثاً: إن ابن سلام كان له دور بارز في وضع معايير واضحة ومقاييس بعيدة عن التأثيرات الفلسفية والفكرية التي كانت سائدة في القرن الثالث الهجري.

رابعاً: تعتبر الجودة من المعايير اللازمة في الحكم على الشّعر والشّاعر ، لذا نجد ابن سلام اتخذها معياراً أساسياً لتصنيف الشّعراء إلى طبقات وعمل على تطويرها من خلال إعطائها بعداً اصطلاحياً عميقاً.

خامساً: إن فكرة الطبقات أول من تطرق لها علماء الحديث النبوي لدواعي دينية ، ومنهم أخذها علماء الأدب.

- التوصيات:

يوصى الباحث طلاب الدراسات العليا بالرجوع إلى كتب التراث ودراستها دراسة منهجية لترسم لهم الطريق للدخول إلى الدراسات النقدية الحديثة ، ومعالجة التراث وفق رؤى هؤلاء النقاد الذين أخذوا منهم واستجلبوا لهم مصطلحات استوردوها من غير حضارتهم ، فإذا درسنا واحداً من المعايير (الجودة) فهناك معايير أخرى يجب على الدارسين الوقوف عندها حتى تكتمل صورة تراثنا النقدي التي تنطلق منها إلى توحيد مصطلحاتنا النقدية ، فدراسة المصطلح تحتاج إلى دراسة علمية أكاديمية منهجية تُلخص إلى نتائج يستفاد منها في البحث العلمي.

الفهـــــارس

1. فهرس الآيـات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية.
3. فهـــــــــــــــرس الحكم
4. فهـــــــــــــــرس الأشعار
5. فهرس المصادر والمراجع .
6. فهـــــــرس الموضوعـات.

فهـــــرس الآيـــــات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
(فَـإِنْ آمَنُـواْ بِمِثْـلِ مَـا آمَنتُـم بِـهِ فَقَـدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِـي شِـقَاقٍ فَسَـيَكْفِيكَهُمُ اللّـهُ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ*صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ)	137/138	البقرة	19
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ إِنَّـا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)	30	الكهف	ب
(...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)	2	الفرقان	19
(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ)	61	الصافات	18
(وَأَنَّهُ أَهْلَـكَ عَـاداً الْأُولَـى* وَثَمُـودَ فَمَـا أَبْقَى)	50/51	النجم	39
(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)	49	القمر	19
(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً)	3	الملك	8
(فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ)	8	الحاقة	39
(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً)	15	نوح	8
(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَق)	19	الانشقاق	8

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	" ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ...."	8
2	" فجاء رجل بطبق عليه تمر ..."	9
3	"فأعطاها طبقاً ..."	9
4	"قالت السابعة زوجي غياياء أو عياياء ..."	9

فهرس الحكم

الرقم	الحكم	الصفحة
1	"ما خرج من القلب وقع في القلب ، وما خرج من اللسان لا يتعدى الآذان "	83

فهرس الأشعار

الرقم	البيت	الشاعر	البحر	الصفحة
1	ديمة هطلاء فيها وطف طبــق الأرض تحــرَّى وتدرَّ	امرؤ القيس	الرمل	7
2	نفحلها البعض القليلات الطبع كـم طـل عـرَّاص ، إذا هُـزّ اهتزع	أبو محمد الفقعسي	الرجز	20
3	وكل أناس ، وإن أفلحوا إذا عــاينوا فحلكــم بصبصوا	الأعشى	المتقارب	20
4	كانت نجائب منذر ومحرق أما تهن ، وطرقهن فحيلا	الراعي النميري	الكامل	21
5	كـم كـان عنـد بنـي العـوام مـن حسب ومن سـيوف جيـادات وأرماح	مجهول الشاعر	البسيط	22
6	وقاهم جدهم ببني أبيهم بالأشقين ما كـان العقاب	امرؤ القيس	الوافر	27
7	تقـول ابنـه العبسـي قـد شـبت بعدنا وكـــل امـــرئ بعـــد الشباب يشيب	كعب بن سعد الغنمي	الطويل	28
8	بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يرجع	الحادرة	الكامل	29
9	ألستم خير من ركب المطايا وأنــدى العــالمين بطون راح	جرير	الوافر	46
10	شمس العداوة حتى يستقاد بهم وأعظـم النـاس أحلامً إذا قدروا	الأخطل	البسيط	46
11	أتاك بقول مهلهل النسج كاذب ولم يـأت بـالحق الـذي هو ناصع	النابغة الذبياني	الطويل	51
12	كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لـــدي وكرهـــا العنـــاب والحشف البالي	امرؤ القيس	الطويل	63
13	كأني بفتخاء الجناحين بقوة	امرؤ القيس	الطويل	63

	وفـــوق العقبـــان طأطأت شملال			
14	له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخـــاء ســـرحان وتقريب تتفل	امرؤ القيس	الطويل	64
15	بذي ميعة ، كأن أدنى سقاطه وتقريبـــه هونـــاً دأليل ثعلب	امرؤ القيس	الطويل	65
16	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بســـقط اللـــوى بيـــن الدخول فحومل	امرؤ القيس	الطويل	65
17	أذكرت نفسك ما لم يعودا فهـــاج التـــذكر قلباً عميدا	امرؤ القيس	المتقارب	69
18	ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعثٍ وأي الرجال المهذبُ	النابغة الذبياني	الطويل	71
19	من يلق يوماً على علاته هرماً يلـــق الســـماحة منـــه والندى خلقا	زهير بن أبي سلمي	البسيط	72
20	رأيت المنايـا خبـط عشـواء مـن تصب تمتـــه ومـــن تخطـــئ يعمر فيهرم	زهير بن أبي سلمي	الطويل	72
21	تنازعها ألمها شبهاً ودر النـ ـحور وشاكهت فيهـا الظباء	زهير بن أبي سلمي	الوافر	73
22	وذي نعمة تممتها وشكرتها وخصـــم يكـــاد يقلـــب الحق باطله	زهير بن أبي سلمي	الطويل	73
23	تريـك الغـزى مـن دونهـا وهـي دونه إذا ذاقهـــا مـــن ذاقها يتمطق	الأعشى	الطويل	74
24	ومســـتجيب لصـــوت الصـــنج تسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل	الأعشى	البسيط	74
25	وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شـــاو مشـــل شلول شول	الأعشى	البسيط	74
26	أبي لك آباء أبي لك مجهدم	الحطيئة	الطويل	75

	سوى المجـد فـانظر صـاغراً من تنافره			
27	أذئب الفقر أم ذئب أنيس أصـــاب البكـــر أم حدث الليالي	الحطيئة	الوافر	75
28	ماذا نقول لأفراخ بذي مرخ حُمر الحواصل لا ماء لا شجر	الحطيئة	البسيط	75
29	ذهبـت مـن الهجـران فـي كـل مذهب ولـم يـك حقـاً كـل هذا التجنب	الحطيئة	الطويل	75
30	طحـا بـك قلـب فـي الحسـان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب	علقمة الفحل	الطويل	75
31	بسطت رابعة الحبل لنا فمددنا الحبـل منهـا مـا اتسع	سويد اليشكري	الرمل	76
32	جـررت علـىّ واجـبي الهـوادة منهم وقـــد تلحـــق المـــولى العنود الجرائر	الحطيئة	الطويل	76
33	أفاطم قبل بينك متعيني ومنعـك مـا سـألتك أن تبيني	المثقب العبدي	الوافر	76
34	ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو الكلام ومره لجرير	محمد بن سلام	الكامل	78
35	وطوي الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برود	جرير	الكامل	78
36	إذا غضبت عليك بني تميم حســـبت النـــاس كلهم غضابا	جرير	الوافر	79
34	فغض الطرف إنك من نمير فلا كعــب بلغــت ولا كلابا	جرير	الوافر	79
38	إن العيون التي في طرفها حور قتلننــا ثــم لــم يحين قتلانا	جرير	البسيط	79
39	لولا الحياء لعادني استعبار	جرير	الكامل	80

ولـــــزرت قـــــبرك
والحبيب يزار
أغفر من أهله ملحوب
40 فالغطبيـــــــات عبيد بن الأبرص البسيط 85
فالذنوب
يا دار عبلة بالجواء تكلمي
41 وعمي صـباحاً دار عبلـة عنترة بن شداد الكامل 85
واسلمي

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
1. إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشّعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان ، 1997م .
2. أحمد بن حنبل ، المسند ، ج 3 .
3. أحمد الشائب ، أصول النقد الأدبي ، الطبعة العاشرة ، مكتبة النهضة ، 1994م .
4. الأصمعي ، فحول الشّعراء ، تحقيق شارلس توري ، تقديم الدكتور صلاح المنجد ، الطبقة الأولى ، 1389هـ - 1971م .
5. الأصمعي ، فحول الشّعراء ، تحقيق شارلس تودي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 2 ، 1998.
6. ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط 5.
7. بدوى طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربـي ، مكتبـة الأنجلـو المصرية ، 1965م.
8. بـدوي طبانــة ، البيــان العربــي ، مطبعــة العــود ، بيــروت ، 1972م .
9. البخاري ، الصحيح : شرح الكرماني ، ط 2 ، دار إحيـاء الـتراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 19 ، 1981م.
10. جرير ، ديوانه ، تحقيق ، نعمان محمد أمين طه ، دار المعـارف ، الطبعة الثالثة.
11. الجاحظ ، البيـان والتـبيين ، تحقيـق عبـد السـلام هـارون ، دار الجيل ، بيروت.
12. جهاد المجالي ، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، 1992م .
13. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين .
14. الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، المجلد 1 ، 1986م.

15. ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ج 1 ، 2004م.
16. الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طبعة الكويت الطبعة الثانية.
17. الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 2004م.
18. الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، الناشر : دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1983م.
19. سهير القلماوي ، النقد الأدبي ، دار المعرفة ، القاهرة – مصر ، 1959م.
20. سيد قطب ، في ظلا القرآن ، دار الشروق ، المجلد السادس .
21. صالح زياد ، القارئ القياسي ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، 2008م.
22. ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1956م.
23. طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دار الفيصلية ، السعودية ، 2004م.
24. عثمان موافي ، دراسات في النقد العربي ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة الجامعية ، 2001م .
25. عيسي علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1997م.
26. ابن قتيبة ، الشّعر والشُّعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، 2003م.
27. قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : بونيباركر ، مطبعة برل ، لايدين ، هولندا ، 1956م.
28. امرئ القيس ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط 2 ، 1964.
29. كاربروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة: عبد الحميد النجار ، الطبعة الخامسة ، دار المعرفة ، ج 1 ، 1983م.
30. محمد إسماعيل الصاوي ، شرح ديوان جرير ، مطبعة الصاوي ، مصر ، الطبعة الأولى .
31. محمد حسن عبد الله ، مقدمة في النقد الأدبي ، ط 1 ، دار البحوث العلمية الكويت ، 1975م .

32. محمد زغلول سلام ، تاريخ الأدب الأدبي والبلاغـة حـتى القـرن الرابع الهجري ، الطبعـة الثالثـة ، دار المعـارف الإسـكندرية ، 1964م.
33. محمد بـن سـلام الجمحـي ، طبقـات فحـول الشـعراء ، ج 1 ، تحقيـق : محمـود محمـد شـاكر ، مطبعـة المـدني ، القـاهرة ، 1974م.
34. محمد بن سلام ، طبقـات فحـول الشـعراء ، تحقيـق : محمـود محمد شاكر ، دار المدني جدة ، ج 1 .
35. محمد على أبـو حمـدة ، محمـد بـن سـلام الجمحـي وطبقـات فحول الشعراء ، دار البشير للنشر ، عمان.
36. محمد محمد أبو موسي ، الشعر الجـاهلي دراسـة فـي منـازع الشعراء ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ، 2012م.
37. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1948م.
38. محمد مندور ، في الميزان الجديد ، مصـر ، القـاهرة ، الطبعـة الأولى ، دار النهضة 1988م.
39. محمد بن أبي يعلى ، طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ،ج 1.
40. مصطفى مندور ، مقالـة فـي مجلـة تـراث الإنسـانية ، المجلـد الأول ، مصر ، 1964م.
41. المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشـعراء ، تحقيـق محمد حسين ، دار الكتب العلمية لبنان .
42. مطلـوب أحمـد ، معجـم النقـد العربـي القـديم ، دار الشـئون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1989م .
43. ابن المعتز ، طبقات الشّعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر.
44. ابن منظور ، لسان العرب.
45. ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيـة ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، 1978م.
46. نجوى محمود صابر ، النقد الأدبي حتى نهايـة القـرن السـادس الهجري ، دار الوفاء الإسكندرية ، ط 1 ، 2008م.
47. نصر الدين إبراهيم أحمـد حسـين ، النقـد المنهجـي فـي كتـب طبقات الشعراء ، الجامعة الإسلامية بماليزيا .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة
استهـــــــلال .	(أ)
إهـــــــــداء .	(ب)
شكر وتقدير.	(ج)
مستخلص البحث	(د)
Abstract	(هـ)
مقدمـــــــــة.	1
الفصــل الأول : مفاهيـم البحــث	
مفهوم الطبقـــة.	6
مفهوم المِعيـــــــــار.	18
مفهوم الفحولـــــــــــة.	20
مفهوم الجـــــــــــــــودة.	22
الفصـل الثاني : صاحــب الكتــاب	
المؤلف وكتابه.	33
مولده – نشأته – مكانته .	33
تعريف الكتاب وأهم القضايا التي تناولها.	35
الفصل الثالث : الدراســة التطبيقية	
أسس المفاضلة .	60
الجودة وتجلياتها في طبقات فحول الشّعراء.	63
الخاتمـــــة	
نتائـــج.	87
توصيات.	87
الفهـــــــارس	
فهرس الآيـات القرآنية.	89
فهرس الأحاديث النبوية.	90
فهـــــــرس الحكـــــــم .	91
فهـــــــرس الأشعـــــــار .	92
فهرس المصادر والمراجع .	94
فهرس الموضوعات	98